# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

# الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤


## في هذا العدد




الاشتراكات :
١٥٠ قرشاً سنوياً
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.

الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

العدد ١٠٩٩ – الخميس ٢ شوال ١٣٨٤ هـ – ٤ فبراير ١٩٦٥ م – السنة الثانية والعشرون

# صفحات من «ذكرى عهود»

بقلم: أحمد حسن الزيات

سأترك العيد الذى بزغ سناه أول امس فى هلال شهر شوال الى الناعمين الفارين من براعم الصبا وازهار الشباب ، فان العيد صحة وزينة وبهجة ومتعة ، والشيوخ لم يعد لهم من كل اولئك شيء . لم يعد لهم الا الذكريات الحلوة تعاودهم من عيد الى عيد ، وقد عاودتنى فى صباح يوم عيد الفطر وانا انظر بعينى الكليلة من شرفة البيت الى زهر الأطفال يمرحون فى أثوابهم الجديدة ، ويلهون بالعابهم المختلفة ، ذكرى من ذكريات القلب فى الطفولة ، وصورة من صور العيد فى القرية ، لا أزال أجد أثرهما فى النفس حيا على موت الذاكرة ، جديدا على بلى العمر . فانا أتخيلهما اليوم كما أتخيل حقيقة الواقع وأتمثلهما الساعة كما أتمثل حوادث الأمس .

كان ذلك وأنا فى العاشرة من عمرى ، أغدو الى الكتاب فى الصباح ، وأروح الى البيت فى المساء ، ومعى فى الغدو والرواح رفيق من لداتى فى السن ومن جيرتى فى الحارة ، لانكاد نفترق بياض النهار وقليلا من سواد الليل . . كان هذا الرفيق هو صديقى الأول فى المرحلة الأولى من مراحل العمر . وكنت احبه دون سائر الرفاق لتشابه بينى وبينه فى الخلق والطبع والهيئة ، فضلا عما كان يتميز به من وسامة تلوح على وجهه ، ووداعة تشع فى عينه ، ورقة تشيع على فمه ، وطيبة تنبعث من قلبه . كان رفيقا فى لعبه فلا يعمد الى الخشونة ، عفا فى حديثه فلا يميل الى الفحش ، مؤثرا لاخوانه فلا يخص نفسه بلعبة أو متعة ، فكرته لكل لاعب ، وكتابه لكل قارئ ، وعونه لكل محتاج . وكان مقيما للصلاة فى أوقاتها الخمسة . فاذا أقبل شهر رمضان تعاقبنا التبليغ وراء سيدنا ، وهو يصلى التراويح اماما فى بيت الله ، وتناوبنا تلاوة القرآن معه وهو يحيى رمضان قارئا فى بيت العمدة .

كان أبوه الفلاح النجار من الأجراء ( التملية ) فى تفتيش على باشا شريف ،

لا تزيد يوميته على ثلاثة ارباع القرش ، ولا سنويته على فدان من أرض الدائرة يزرعه شعيرا أو ذرة . لذلك كان لا يملك من الثياب الا جلبابا واحدا يشتريه له ابوه فى العيد الصغير فيلبسه على اللحم طوال العام كله لا يبدله . وكان يحرص على صيانة هذا الجلباب أشد الحرص ، فلا يمزقه باللعب العنيف ولا يبليه بالغسل البالغ . ومع ذلك كان راضيا مطمئنا لا يمد عينه الى متعة ، ولا يحسد غيره على نعمة .

ذهبت أيام رمضان الغر ولياليه الطهر من تلك السنة ذهاب النسمات الرخية هبت على الدنيا من رياض الجنة فعطرت الأنفاس ولطفت الطباع وقربت ما بين السماء والأرض . وأصبح يوم ( الوقفة ) فاذا الكهول والشباب من القرية يمتطون حميرهم فى نشاط ، ويسلكون طريق السوق فى زياط ، ليشتروا من المنصورة حاجة العيد من لحم ( وفطرة ) ، وكان أكثر الفطرة التمر والخروب وأقلها البندق وعين الجمل . وكان ضعاف الدين يسمون يوم ( الوقفة ) عيد الشباب ، لأنهم كانوا يستبيحون فيه الافطار ليملأوا بطونهم بالمجان من اصناف الفطرة بحجة انتقاء الأجود منها قبل الشراء . وكان تجار النقل يتسامحون فى هذا الاختبار – وان أسرفوا فيه – استمالة لهواهم واجتلابا لسواهم . وكان من تخلف فى القرية من النساء والأطفال ينتظرون رجوع العير بالأخراج الموقرة على صبر نافد وشوق شديد فاذا مارجعوا نفحوا المتشوقين المتشوفين بقبضات مختلفات من التمر او الزبيب فيزازق البنون ويزغرد البنات ويقع البيت كله فى زياط شديد . ولكنهم يتذكرون ان رمضان الحبيب يلفظ أنفاسه الأخيرة مع الشمس الغاربة فتخشع الاصوات وتنهمل العبرات ويخامر الناس الخوف من انطلاق الشياطين المقيدة ، فيجلس الصبيان على ابواب الحجرات يكررون البسملة ويضربون حديدا بحديد ، حفظا للبيت من دخول شيطان مريد .

فاذا دوى مدفع الافطار الأخير من البندر ورفعت صوانى الطعام من الحارة ، وقضيت صلاة المغرب فى المسجد ، خرج أهل القرية جميعا الى المقبرة ومع كل اسرة فانوس يحمله الرجل وسبت من الفطير تحمله المرأة ، حتى اذا بلغوها وضعوا المصابيح على أوجه القبور وجلسوا أمامها يستذكرون ويستعبرون وقد اختلط ندب النساء بتلاوة الفقهاء : أولئك يعددن مناقب الموتى بمراثيهن الموقعة ، وهؤلاء يقرءون على كل قبر سورة يس بتلاوتهم المسرعة ، ثم تعود القرية الحية من القرية الميتة ليتجهزوا للعيد بجهازه فيقضون الهزيع الثانى من الليل فى طسوت الاستحمام او فى دكان المزين ، والاغتسال بالماء الحار لايعرفه الفلاحون الا ليلة العيد وليلة العرس ، ويوم الموت . ثم يعدون زينتهم فيكورون العمائم ويصبغون الأحذية . ومن لا يحسن

لوث العمامة أو لا يملك علبة (الورنيش) ذهب بطربوسه أو حذائه الى قريبه أو جاره ، والقرية كلها اسرة واحدة يكمل بعضها نقص بعض ٠ فاذا فرغوا من ذلك ناموا بقية الليل على هدهدة الأحلام ومناغاة المنى ، وتركوا النساء أمام الأفران والكوانين ينضجن الخبز ويطهون اللحم ويصنعن الحلوى حتى الصباح ٠

فرغت أنا وصديقي عبد الحافظ النجار من قراءة ما تيسر من كتاب الله على ارواح موتانا ورأينا الناس ينصرفون فانصرفنا ولم يبق من شمعة فانوسى الا عقب لا يكاد يبلغ بنا الدار ٠ وفى أثناء الطريق قال لى رفيقى بصوت خافت ولهجة حزينة : ربما لا أراك غدا فكل عام وأنت طيب ٠ فقلت له وانا احدجه بنظرى فى استغراب ودهشة : ولم لاتراني ياعبده ؟ لقد أعددت لك الكرة لنلعب والحبل لنتارجح ٠ فقال : لاأحب أن يرانى الصبيان وليس على جسدى جديد ولا فى رجلى حذاء ولا فى يدى قرش ولا فى جيبى فطرة ٠ لم يستطع أبى أن يحقق لى شيئا من ذلك لانه مرض منذ ستة أشهر فانقطعت أجرته من وسية الباشا بانقطاع عمله ٠

فقلت له وأنا أربت على كتفه : هون عليك ياعبده فان أكثر الأطفال على مثل هذه الحال ٠ وما دمنا معا فكل شىء جديد ، وكل يوم عيد ٠ فقال لى بلهجة العزوم الصارم : لن أجعل الصبيان يشعرون أنى أصغر منهم شأنا وأن أبى أضعف من آبائهم قدرة ٠ وسأقضى مع أبى المريض وأمى البائسة وجدتى العجوز العيد الذى اختاره لنا القدر ٠ فقلت له وقد يئست من صرفه عن عزمه : ليكن ماتريد ٠ وسأعيد معهم ومعك ٠

وغدوت عليه فى داره بعد صلاة العيد وزيارة المقبرة ووجبة الافطار ومعى نصيبى كله من النقل والكعك ، وقضينا يوما من أسعد الايام نلعب بآلات النجارة ، ونلهو بأوراق اللعب ، ونستذكر ما حفظنا من السور القصيرة ، ثم نركض وراء الكرة من الفناء الى الحظيرة ، ومن الحظيرة الى الفناء ٠ وذهبت فجئت بحبل المحراث وشددناه من طرفيه الى عرق غليظ فى سقف الزريبة وأخذنا نتأرجح ٠ وكان كل شىء فى الدار مبتهجا بابتهاجنا مغتبطا لاغتباطنا ٠ فالأب قد نسى مرضه وقعد القرفصاء يرامقنا بعين قريرة ونفس مطمئنة ، والأم قد تركت عملها وجعلت تبارك مرحنا بالنظر الحنون والقلب العطوف ، وتحمد الله على أن جاء العيد لابنها فى الدار حين رفض أن يذهب اليه فى القرية ، والكلب الأليف كان يتبع خطواتنا من مكان الى مكان وهو ينبح كأنه يضحك ، ويبصبص بذيله كأنه يجامل ٠ والدجاجات قد اخلت لنا صحن الدار فجثمت تحت الجدار القصير وأخلدت الى السكون الا اذا حركتها طبيعة الحياة فيصيح ديك أو تقوقى دجاجة ٠ حتى اذا قضينا حاجتنا من متع العيد كلها جلسنا عن جانبى الجدة الطيبة وألقينا اليها السمع لتساقط فيه الكلم العذاب من ( حدوتة ) طويلة مشوقة حتى بدت فى جفنينا فترة النعاس فغفونا على حصيرتها الى

أن انطلقت مدافع الغروب على شاطىء المنصورة ، ولعلع صوت أبى عامر على سطح الزاوية .

كان هذا العيد المحصور بين صحن الدار وحظيرة البقرة ومجلس الجدة أسعد من عيد الآخرين الطليق بين ساحة القرية ومجالى الحقول وملاهى البندر ، لأنه كان عيد قلبين صغيرين لم تترسب فيهما أكدار الحياة بعد ، فخلوا من الهم والحقد ، وامتلآ بالرضا والغبطة . والارض على رحبها تختصر احيانا فى مكان ، والسعادة على تفرقها تجتمع كلها فى وجودك مع انسان . والصداقة الطفلية الاولى عميقة لأنها احتلت القلب على خلو ، لاصقة لأنها خالطت الشعور عن جاذبية ، باقية لأن حدثان الدهر تجرى عليها وهى راسخة فى القاع .

ظلت صداقتنا البريئة الحلوة تنمو مع مشاعرنا وعواطفنا ثلاث سنين طبعنا آثارها فى المكتب وفى الملعب وعلى ضفاف بحر شبين حتى دها مصر وباء الكولرا سنة ١٩٠٢ فصحا أهل القرية يوما فاذا كل دار فيها مريض ، واذا كل ساعة فيها جنازة . فهان الموت ورخصت الأموات حتى لايعاد محتضر ولا يشيع ميت ولا يعزى حى . كان الموت الوحى الذريع يتخطف جيرتى فى الحارة واحدا بعد واحد ، فخلت الملاعب من الاطفال والمصاطب من الرجال والمحاتب من الصبية . وهجم الوباء الهندى الاصفر على دار عبد الحافظ فاختطف والديه فى اسبوع وبقيت الجدة على حصيرتها الخشنة تبكى الابن وتندب الكنة وتحنو باضلاعها الهشة على الحفيد ، ولكن حنوها الشديد لم يدفع قضاء الله فاصبح عبد الحافظ يشكو ظما لا ينقعه ماء ، وقيئا لا يمنعه دواء ، واسهالا لايقطعه شىء ، فعلمت جدته انه الموت ! فضجت بالصراخ ورنت بالعويل . وسمع الجيران جزعها فشاركوها من بعيد . وكان ابى قد حرم علينا غشيان الدور ومخالطة الناس ، ولكنى تسللت الى دار المريض العزيز فوجدته يكابد هول الداء وحده ، فلا أبوه يخفف عن كبده سعار العطش ، ولا أمه تمسح عن ثوبه رجع القىء ، فانهلت بوادر دمعى ، واحسست حرقة الحزن فى صدرى . وكان بيتنا يشرب الماء المغلى فلم يصب أحد منا بسوء . فظننت ان الدواء فى هذا الماء ، فحملت منه قلة اليه كما حملت مثلها بالأمس الى « زهرة » بنت الحارة صديقتى وصديقته . فلما رآها فى يدى افترت شفتاه الذابلتان عن ابتسامة غائمة فجرعته منها جرعات . ثم جلست بجانبه أرطب حلقه اليابس بالقلة من لحظة الى لحظة حتى وقف الماء فى فيه فلم يستطع أن يسيغه . ثم شخص بصره وحشرج صدره واخذه فواق ضعيف ثم لفه سكون شامل .

أبدا لن أنسى هذين اليومين من حياة صديقى الأول : يوم قضيت معه يوم العيد وهو يقاسى هم الوحشة ، ويوم قضيت معه يوم الموت وهو يكابد الم الوحدة !!

واحسرتاه على قريتى الصغيرة ؟ لقد أقبل عليها عيد الفطر فى تلك السنة الحزينة والموت قد ختم على أكثر الدور ، ونقل نصف أهليها من الدور الى القبور .

« احمد حسن الزيات »

# .. وأيضاً !!

بقلم: محمود محمد شاكر

- ١١ -

**لا أدرى ما الذى أصاب صحافتنا فى هذه الفترة من تاريخنا ؟** نعم ، كنت ، كما قلت فى المقالة الثامنة، اتابع زحف القوى الشريرة منذ عهد قديم ، بلا غفلة عن بوائق هذا الزحف . ونعم ، كان هذا الزحف يتشعب ويمد خطاطيفه الى جميع وسائل النشر والاعلام ، من كتب وصحافة واذاعة وتليفزيون ، ولكنه كان فيما أظن ، يعتمد على التدسس الخفى الذى لا يكاد يعلن عن نفسه الا فى الخطرة بعد الخطرة ، وكان حذرا لا يعالن بكشف اللثام عن معارف وجهه ، بل كان اذا انكشف اللثام مرة ، دلس على الناس بشىء من الألفاظ والاعمال كحرية الرأى ، وحرية النشر ، واتاحة الفرصة للمخالفين أن يعبروا عن آرائهم . بيد أنى رأيته فى هذه الفترة ، يرتكب خلاف ما اعتاده بالأمس، وادع التلويح الى التصريح . وذلك انى أنبأت قراء الرسالة فى المقالة التاسعة أن الدكتور محمد مندور ، نشر كلمة فى مجلة « روز اليوسف » تناولنى فيها بما لم أكن أظن أنه يليق بمثله أن يفعله ، وأنى كتبت الى مجلة « روز اليوسف » كلمة مختصرة ، أرد عليه قالة السوء التى قالها عنى ، لتنشر حيث نشر كلامه . وكنت على يقين أن مجلة « روز اليوسف » ، سوف تنشر هذه الكلمة حيث نشر الدكتور مندور كلمته ، وذلك لأن هذا النشر حق طبيعى وقانونى ، درجت عليه كل الصحافة منذ كانت ، بلا اعتبار لأى شىء سوى هذا الحق . والكلمة التى كتبتها لهذه المجلة لا تخرج عن حد التوضيح لما أساء الدكتور فيه القالة عنى ، ولم اتجاوز فيها القدر الذى يخصنى مما جاء فى كلمته ، فلم أناقشه رأيا ، ولا تحاملت عليه فى عتاب أو لوم . ففوجئت باغفال هذه المجلة فى الأسبوعين الماضيين ، لما هو حق معترف به عند الناس جميعا، ولا أقول فى آداب الصحافة ، ولا فى الزام القانون. وأنا لم أكتب هذه الكلمة لمجلة « روز اليوسف » ، الا لأنى وجدته من الأدب وحسن الخلق ، أن لا أغفل شأن هذه المجلة ، ولا شأن الكاتب فيها ، فآثرت أن اكتب لها أولا ، قبل أن أنقل لقراء الرسالة خبر ما قاله الدكتور عما اكتبه فيها .

وأظننى ، بفعلى ذلك ، قد وضعت الأمر فى نصابه ، فليت شعرى ، ما الذى حدا بهذه المجلة أن لا تضع هى أيضا أمرى وأمرها فى نصابه ؟ أيبلغ التحيز الى فئة من الفئات ، أن يخالف المرء ما درج عليه أدب الصحافة وما كفله القانون من حق الدفاع عن النفس ، وأن يهدر المرء حقا معترفا به لا لشىء الا لأن المشرف على الصحيفة أو المجلة يحطب فى هوى عصابة من الناس ، ليست كلمتهم التى يقولونها ، أولى من كلمة مخالفيهم بالاحترام والتقدير ؟ واذا كان المشرف على الصحيفة أوالمجلة قد أباح لنفسه أن ينشر فى صحيفته أو مجلته كلمة تمس رجلا من الناس ، أيا كان هذا الرجل ، فانه لا يستطيع أن يبيح لنفسه التحكم فى نشر كلمة يدفع بها هذا الرجل عن نفسه مقالة سوء ، يراها قبيحة أن تقال بلا برهان أو حجة . وأنا لا أقول هذا لأنه كان مما يسرنى أن تنشر كلمتى فى مجلة «روز اليوسف» ، بل أقوله دفاعا عن حرية الناس وعن كرامتهم ، لأن الذى يفعل معى ، خليق أن يفعل مع كل أحد تتناوله الألسنة ، ثم لا يجد وسيلة يعبر بها عن رأيه ، حيث تناوله من تناوله ، ويبقى حقه مضيعا لا يدرى كيف يناله ، ما دام المشرف على الصحيفة أو المجلة ، يعد نفسه صاحب الحق المطلق فى النيل من أقدار الناس أو آرائهم أو أعراضهم ، ثم صاحب الحق المطلق فى أن يمنع

هؤلاء من الدفاع عن أنفسهم ، أو كشف التزييف الذى تتولى صحيفته أو مجلته نشره واذاعته على جماهير الناس .

واذا كنت أنا قد وجدت مجلة الرسالة ، لأقول فيها ما ازيف به مقالة تقال عنى ، فعسى أن لا يجد مئات من الناس مكانا يتيح لهم الدفاع عن أنفسهم. وأحب أن أسأل : من الذى أعطى المشرفين على الصحف أو المجلات هذا الحق المطلق ؟ وبلا ريب،لم يعطهم أحد هذا الحق ، بل لعلهم لم ينصبوا مشرفين على الصحف والمجلات ، الا لكى يتيحوا لكل ذى رأى أن يعبر عن رأيه ، ولكل صاحب حق أن يدافع عن حقه ، بلا تفريق ، وبلا تحيز . فان كان عند هؤلاء المتحيزين الى عصابات من الناس سلطان قد فوضوا به أن يهدروا ما شاءوا من الحقوق ، وأن يمتهنوا ما شاءوا من آداب الصحافة وواجباتها ، فليعلنوا ذلك ، حتى يكف كل امرىء عن الاهتمام بما ينشر فى صحفهم أو مجلاتهم . ويكون ذلك منهم عدلا وانصافا ، يقبله الناس راضين أو كارهين . لم أكتب هذا غضبا لنفسى ، بل غضبت لكرامة امة أنا أحد أبنائها ، ولصحافة لم ازل أعرفها مذ عقلت ، ترعى حرمة الراى والدفاع عنه ، مع أنها كانت يومئذ ترتكس فى حماة الاستبداد والظلم والخيانة ، ولكنها على ذلك كله ، لم تكن تجترىء على حقوق أبناء الأمة وآرائهم وأعراضهم ، بالتحكم الغليظ الذى لا خير فيه .

فليت شعرى ما الذى أصاب صحافتنا فى هذه الفترة من تاريخنا ؟ ان هذا لعجيب ! ولكن زمانا اتاح لأحد صبيان المبشرين أن يصب فى أكبر صحيفة فى العالم العربى والاسلامى كل ما فى قلبه من الحقود والجهالات ، وسمادير المخمورين ، ووساوس المرورين ، ويدوس باقدامه تاريخ العرب والمسلمين بلا رادع وبلا حياء ، لا يستنكر فيه أن يضيع حق امرىء يناله قلم بمس رفيق جارح، كالمس الذى أصابنى من قلم زميلى القديم الدكتور مندور ، وكان أجدر بى أن أقول له ما قال كثير لصاحبته عزة ، حين حملها زوجها على سبه :

**يكلفها الخنزير شتمى ، وما بها**
**هوانى ، ولكن للمليك استذلت**
**هنيئا مريئا ، غير داء مخامر**
**لعزة من أعراضنا ما استحلت**

وما كان أحكم طرفة بن العبد اذ يقول ، فى المثل المعروف :

**يا لك من قنبرة بمعمر**
**خلا لك الجو فبيضى واصفرى**
**ونقرى ما شئت أن تنقرى**
**قد رحل الصياد عنك فابشرى**
**ورفع الفخ فماذا تحذرى**
**لا بد من صيدك يوما فاصبرى**

وأعاهد نفسى منذ اليوم ، أن لا ارتكب مثل هذه الحماقة مرة أخرى ، مهما قيل عنى ، ومهما نشر ، فان ذلك أهدى سبيلا من السبيل التى غرتنى بها نفسى ، وثقتى بالناس . وفى مجلة الرسالة مقنع وسعة لما أريد أن أقول ، وهى حسبى ، ان شاء الله .

واذا كان القارىء قد أنساه طول الاستطراد فى قضايا تخللت قضية العامية وارادة استبدالها بالفصحى ، فانى لم انس ما بدأته . وعذرى أن هذه القضية لم تكن قط قضية مفردة برأسها ، بل كانت قضية متشعبة الجذور، كل جذر يمدها بضرب من الغذاء ، ويصبغها بلون من الصبغة ، ولا أزعم أنى قادر على أن استوعبت القول فيها استيعابا مغنيا شافيا كافيا فى هذه المقالات ، فان ذلك ضد طبيعة المقالة ، لاعتماد المقالة على الفكرة الواحدة المترابطة. ولكن حاجة القراء الى المقالة،أشد أحيانا من حاجتهم الى الكتاب ، وهو وحده الخليق باستيعاب القول الشافى . ومع ذلك ، فما الذى يضير القارىء أن يسير معى فى الدروب المتشابكة ، فيرضى أن أسلك معه دربا ، ثم استوقفه ليسلك معى دربا آخر ، ثم نعود الى الدرب الأول ، ثم نعوج معا الى درب ثالث، يفضى بنا مرة أخرى الى الدرب الثانى أو الدرب الأول ؟ لا يضيره شىء فيما أظن ، وهبها رحلة استكشاف لمتاهة من الأرض مجهولة ، وهبها رحلة استمتاع بتاريخ متطاول ؟ أليس ذلك وحده متاعا ؟ فما ظنك اذا كان فوق المتاع ؟ وما ظنك اذا كان أمرا لا بد منه لمعرفة المكر الخبيث الذى أحاط بامة يراد لها الهلاك المصبوب عليها من حيث تتلفت ؟ ماظنك اذا كان أمرا يتعلق باتلاف ماضيها كله وسحقه وسلخها من هذا الماضى بآلاف من الوسائل التى ترى هينة عند أول النظر ، فاذا رددت النظر اليها هالك ما يهولك من وخيم العواقب ؟ ما ظنك اذا

كان شيء مثل لويس عوض ، وأشباه له كثر ، قد استخدموا لينبثوا في كل ناحية من حياتنا الأدبية والثقافية والاجتماعية ، وكل منهم في لباس يتنكر فيه ، ليؤدي مهمة هو مكلف بها ، طبقا لدراسة مخططة ، تاتي في مواقيت بعينهـا ، مندسة في الانتفاضات الكبرى ، لتقضي أربها من القضاء على كل انتفاضة ، أو تحويلها عن صحيح أهدافها ، أو تعويقهـا عن السير في الطريق الذي كان ينبغي أن تسير فيه الى غايتها ؟ أمن العبث عندئذ أن أقف معك متمهلا ، أدلك على مواطيء أقدام الفتاك والجبناء وعلى مسارب كالتي وصفهـا المتنخل الهـذلي اذ يقول :

**كأن مزاحف الحيات فيه**
**قبيل الصبح آثار السياط**

وانها لحيات ليل مظلم ، لا يشفى لها لديغ . ولا ينبئك مثل خبير . فاني كنت أحد من ابتلي بلدغها، ثم أعان الله سبحانه فبرئت قبل أن يفتك بي سمها الناقع ، ثم وقفت أرصدها وأرصد مزاحفها ، وأطأ منها ما أطأ بقدم ثابتة ، بصيرة بما يجنبهـا المتالف والمهالك ، وكان ذلك حسبي في وقاية نفسي شر فتكها . أما الآن ، فاني وجدته فريضة محكمة أن ابصر أهلي وعشيرتي وأوقفهم الى ما يكمن لهم في الطريق من هلاك موبق ، فمن أبصر فلنفسه ، ومن عمي فعليها ، والله سبحانه وتعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم : « انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » ، فعلى كل ذي علم أن ينصح الناس بما علم ، والله يهدي من يشاء .

وقد أسلفت البيان عن حقيقة عمل « التبشير » ما هو ، وأن توهم «التبشير» ، دعوة للدين المسيحي، أمر باطل ، بل هو أحد أدوات الاستعمار الغربي في آسية وافريقية ، ولا يهمه من أمر الدين الا الغلبة بأي أسلوب كان، حتى يكفل سيادة الحضارة الغربية على حضارات الامم ، ولا سيما أكبر حضارة في عالمنا نحن ، وهي الحضارة الاسلامية التي سادت آسيا وافريقية الى أن خرجت أوربا لغزو بلاد الاسلام . وبينت أن المبشرين أنفسهم قد علموا علما يقينا أن الدعوة الى المسيحية من حيث هي عقيدة ، لاتلقى أذنا سميعة ولا أذنا صماء ، فكان المخرج من هذا المأزق، أن يكون عمل التبشير في ميدان غير ميدان الدعوة الصريحة الى المسـيحية . **فكان اجماعـا منهم :** أن ارساليات التبشير تعجز عن أن تزحزح العقيـدة الاسلامية من نفوس معتقديها ، كما قال شاتليه ، ولكنها تستطيع أن تقضي لباناتهـا من هدم الفكرة الدينية الاسـلامية ، ببث الافكار التي تتسرب مع اللغات الأوربية وتمهيد السبيل لتقدم اسلامي مادي، وهو الذي عبر عنـه توينبي بأنه « طريقة العيش الغربية » ، و « اعتناق مبادىء الحضارة الغربية »، كما أسلفت في المقالة العاشرة ، وطريقـة العيش الغربية ، ومبادىء الحضارة الغربية هي بلا شك ، نتاج طبيعي للعقيدة المسيحية التي تسـود العالم الغربي ، لا يرتاب في ذلك عاقل .

فكانت الوسيلة الأولى لبلوغ ذلك هي ، **التعليم ، والصحافة** ، وبالاستيلاء على هذين الحصنين ، يتم للمبشرين ما يريدون من هزيمة العالم الاسلامي ،في معركة الثقافة ، بلا ضـجيج يزعج . وقد ابانت المبشرة « أنا ميلجان » عن ذلك أحسـن الابانة اذ قالت : « ان المدارس أقوى قوة لجعل الناشئين تحت تاثير التعليم المسيحي ، وهذا التاثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سـيصبحون يوما مـا قادة أوطانهم » !! وتقـول أيضـا عن كلية البنات في القاهرة : « في صفوف كلية البنات في القاهرة ، بنات آباؤهن باشاوات وبكوات ، وليس ثمة مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي . وليس ثمة طريق الى حصن الاسلام أقصر مسافة من هذه المدرسة ». وقد بين«دانبي» المبشر ذلك حين ذكر التعليم فقال : « وهكذا ينشأ الطالب وتنشأ معه فلسفة مسيحية للحياة » . وكشف ذلك القس زويمر كشفا صريحا حين قال في وصاياه للمبشرين : « ينبغي للمبشرين أن لا يقنطوا اذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسـلمين ضعيفة ، اذ من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد الى علوم الأوربيين وتحرير النسـاء » . وهذه أقوال قديمة ، ينبغي أن يتأملها العربي والمسلم في هذا العصر الحديث !!

ويضيف المبشر «تكلي» اضافة صريحة،تكشف عن وجوه الخطر الكامنة في التعليم الغربي ، فانه يقول : « يجب أن نشجع انشاء المدارس ، وأن نشجع على الأخص التعليم الغربي . ان كثيرين من المسلمين قد زعزع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الانجليزية .

ان الكتب المدرسية الغربية ، تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس ، أمرا صعبا جدا » ٠ وهذا واضح كل الوضوح ، فى أن أمر التعليم ، على الصورة التى ارادوها ، والتى أرادها دنلوب وامثاله ، هى نزع اعتقاد الشباب المسلم ، فى كتاب الله الذى انزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ، والذى عبر عنه وليم جيفورد بلجراف فيما ذكرته آنفا : « متى توارى القرآن ،ومدينة مكة ، من بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة ، التى لم يبعده عنها الا محمد وكتابه » ، وخسىء المبشر!

ولهذا الهدف نفسه ، سعى المبشر لويس ماسنيون الذى يعد مستشرقا ، حيث قال فى مجلته التى يخدم بها وزارة المستعمرات الفرنسية : « ان الطلاب الشرقيين الذين يأتون الى فرنسا ، يجب أن يلونوا بالمدنية المسيحية » ٠ وهذا ليس قوله وحده ، بل هو ما تعمل له أكثر الجامعات فى أوربا وامريكة ، وسائر ما يتفرع عنها من الجامعات التى تقام تحت اشرافها فى بلاد العرب ، كالجامعة الامريكية فى بيروت ، وفى مصر ، كما بينت ذلك فى مقالة سالفة ٠ هذا أمر الاستيلاء على التعليم والمتعلمين ، لم أزد فيه على أن نقلت نصوص أقوالهم دون تعليق يذكر ٠ فان أى عاقل يستطيع أن يرى الطريق واضحة بأيسر التأمل ٠

**اما الصحافة والاستيلاء عليها** ، وتتبعها بلا ريب، سائر وسائل الاعلام والتوجيه التى انتشرت فى هذا العصر الأخير ، فحسبك أن تقرأ ما قاله المبشر ولسن كاش : « ان الصحافة لا توجه الرأى العام فقط ، أو تهيئة لقبول ما ينشر عليه ، بل هى تخلق الرأى العام ( تأمل هذه العبارة تأملا جيدا ) ٠ وقد استغل المبشرون الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية ، أكثر مما استطاعوا فى أى بلد اسلامى آخر ( تأمل هذا أيضا ) ٠ لقد ظهرت مقالات كثيرة فى عدد من الصحف المصرية ، اما مأجورة فى أكثر الاحيان ، أو بلا أجرة فى أحوال نادرة » ٠ وهذا كلام قيل فيما قبل سنة ١٩٢٣ ، فهو قول قديم ينبغى أن تتأمله ، وأنت تدرس تاريخ هذه الفترة من حياتنا ، اما بعد ذلك فان الأمر قد اختلف، بعد أن صار صبيان المبشرين مبثوثين فى كل مكان ، يتكلمون بلا حرج، والفاظهم تنضح بالدلالة على حقائقهم ، منذ كان سلامة موسى ، الى أن كان لويس عوض وشيعته من الصبيان ، ثم ما تراكم من الخطر الأعظم بوقوع جماعة لم يحاولوا قط أن يرتابوا فيما يلقى اليهم، فاصاب ذلك من نفوسهم موقعا ، فرددوا كلاما فتنوا به ، وهم لا يدركون ما وراءه من مرامى هذه القوى المجتمعة الشديدة المكر والبطش ، والتى تعمل دائبه بلا غفلة ولا فتور ، على هدم نفوسهم ، وهدم بلادهم ، لكى تقع فى شرك لا مخرج لها منه، أرادت ذلك ، بعد تمام النكبة ، أم لم ترده ٠

فمن الغفلة التى تطمس القلب والعين والعقل ، أن يعرف ذلك انسان له بقية من نخوة أو كرامة او عقل ، ثم لا يعيد النظر فى كل أمر من أمور هذه الامة العربية والاسلامية،ليرى أثر اصبع التبشير العامل على تحطيم النفس العربية والمسلمة ، فى كل ناحية من نواحى الحياة الادبية والسياسية والاجتماعية ، وليبصر عيانا صدوع التحطيم والهدم ظاهرة فى حياتنا ، وليدرك أن العدو الذى يريدنا أن نعتنق مبادىء الحضارة الغربية ، وأن نعيش طريقة العيش الغربية ، انما يريد أن يقوض بناء كاملا تم كماله ، فى قرون متطاولة ، وبقى يقارع الخطوب والاحداث والنكبات دهورا ، محتفظا بقوته وكيانه ، ولم يجترىء عليه العالم الاوربى المسيحى، الا بعد طول تردد فى القرن التاسع عشر ، كما قال توينبى ٠

ولأن أحكم عروة كانت تربط العالم الاسلامى، على اختلاف ألسنته واجناسه فى قارتى آسية وافريقية ، هى لغة العرب التى بها نزل القرآن ، كما قال القس المبشر زويمر ، وكما اشار الى بعض ذلك المؤرخ الانجليزى توينبى ، فان « التعليم » ، الذى فرضه الاستعمار الغازى على العالم الاسلامى ، والذى تولاه التبشير بفتح مدارسه فى كل بلد عربى من بلاد هذا العالم ، اعتمد أول ما اعتمد على محاربة اللغة العربية حيث كانت ، كما شهد بذلك الأستاذ الفاضل جرجس سلامة فى كتابه عن التعليم الأجنبى فى مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين، وكما يدل عليه ايضا ما انتهت إليه مدارسنا من الاستهانة بشأن اللغة العربية ، وظهور ذلك ظهورا بينا فى جميع نواحى حياتنا التى نحياها اليوم . وسبب هذا البلاء الذى نعانيه ، انما هو الهدف

الذى اراده دنلوب بنظامه الذى سير عليه المدارس المصرية حينا طويلا ، بأن يجعل اللغة الانجليزية هى السائدة فى التعليم كله ، ويجعل لغة البلاد ، كأنها لغة أجنبية تدرس فى غربة شديدة على نفوس الناشئة ، فلا يكاد يطول زمن ، حتى ينحل الاهتمام بها شيئا فشيئا . حتى تكاد تصبح لغة غريبة على ابنائها واهلها ، وهكذا كان ! ( ومن المحزن ، ومن المخزى ، ان يكون هذا هو الهدف الحقيقى الذى يسعى اليه نظام دنلوب اكبر السعى واصدقه ، ثم لا تزال الى الساعة نسمع من يقول للناس ان نظام دنلوب ، كان يرمى الى اخراج طبقة من الموظفين ، لا غير . وهذا باطل معرق ، وقصد سخيف ، لا يصدقه الا من اعوزته ملكة نقد الأقوال والأخبار والشائعات المروجة لستر الحقيقة ، فهو لذلك لا يبالى ان يحاول عرضها على صريح من العقل ، او على شهيد من الواقع ) .

واذا كان الغرب قد توقى طوال هذه الفترة ان يواجه العالم الاسلامى فى ميادين القتال ، مخافة أن تكون عاقبة التلاقى وجها لوجه وخيمة ، كما قال توينبى . فانه قد جاء ما لم يكن قادرا على توقعه يومئذ ، فضلا عن توقيه . فقد كانت نتيجة التصادم بين قوى الأمة العربية والاسلامية ، وقوى الاستعمار والتبشير فى ميدان الحرب اللغوية ، والحرب الثقافية ، ان انبعث فى جميع ارجاء العالم الاسلامى حركة احياء شديدة العجلة ، كالذى حدث فى الهند وغيرها

**وانطلقت ايضا حركة غريبة** تفور بالآمال وبتحقيق الآمال معا ، كان يحمل لواءها يومئذ ، البارودى ، وذلك فى نحو سنة ١٨٧٠ ، كما اسلفت . فاذا بنا نفاجأ بعد قليل بدعوة سخيفة جدا عند من يحسن النظر ، ومن له أدنى قدر صحيح من سلامة الطبع ، ومن عنده أدنى قدر من حب بلاده ولغة امته ، ومن له أدنى حس بطبائع الألسنة البشرية وتاريخها ومدارجها على العصور المتطاولة . ولا عجب ، فانها كانت دعوة خبيثة المخرج ، احتيلتها مؤسسات التبشير ودعاته على حين فترة من غلبة الجهل بالقراءة والكتابة فى جماهير الناس ، وعلى حين الوقوع فى قبضة الاستعمار الذي كان يشل حركة المصلحين فيمنعهم بوسائل مختلفة من ادراك ما يبتغون من اصلاح حال امتهم ، الا بعد جهد جهيد . وهذه الدعوة ، هى دعوة استخدام العامية واستبدالها بالفصحى فى التعليم والكتابة ، التى لم يكن لها مخرج فى مصر منذ سنة ١٨٨٠ الى سنة ١٩٠٢ ، الا من ثلاثة من المبشرين ، فى اى ثياب مدنية كانوا ، هم سبيتا الالمانى ، وويلككس وولمور الانجليزيان . ومخرج فى بيروت ، هو مجلة المقتطف ، التى كانت ترتضع أسباب بقائها يومئذ من أكبر مؤسسة تبشيرية دخلت الى ثغر من ثغور بلاد العرب ، فاستقرت فيه سنة ١٨٦٥ ، وهى « الكلية السورية الانجيلية » ، التى تعرف اليوم باسم « الجامعة الامريكية » ، ولم ينقض تغيير الاسم شيئا من حقيقتها التى عليها انشئت ، ولها ولتحقيق اهدافها لا تزال تعمل ، بلا موارية ، الا بعض المخافتة .

وخبث مخرج هذه الدعوة فى اول عمرها ، طمس عليها وعلى اصحابها وعلى مؤلفاتهم أو كتابتهم فيها بعض الطمس . ولكن هل كان هذا قضاء عليها ، وازالة لها ومحوا ؟ كلا ، فان هذه الدعوة المكتوبة ، كانت ترفدها أسباب أخرى من خارج ، امثال اليهودى يعقوب صنوع ، وتصنعه الوطنية والدفاع عن الحق ، وممارسته ذلك بالكتابة العامية ، ثم بدء نشأة المسرح العامى ، وهو اللهو الذى تسرع اليه النفوس . ويرفدها أيضا ضروب من الاعداد كانت تتم فى المدارس الأجنبية التى وصفناها آنفا ، وفى المدارس الثانوية والعالية أيضا ، التى كان بعضها خاضعا خضوعا مباشرا للانجليز ، وعلى راسهم دنلوب ، ومن يحيط به من المبشرين فى صورة اساتذة ، او خضوعا مباشرا للفرنسيين فى عهد الانجليز ، كمدرسة الحقوق ، التى كان طلبتها يمارسون ممارسة عملية اهدار الفقه الاسلامى والشريعة كلها باصولها ، واحلال القانون الفرنسى الوضعى مكانهما ، ويقترن بهذه الدراسة التى تغلب عليها الفرنسية ، والاعجاب بها وبآدابها وفكرها ، ضرب من الاعراض عن العربية احيانا ، أو ضرب من الشك والاستهانة ، او ضرب من قلة الاحتفال واسقاط امرها كله من الحساب .

ولكن منذ سكت صوت ويلككس وولمور فى سنة ١٩٠١ ، لم نكد نسمع صوت صارخ يتولى الدعوة

الى العامية واستبدالها بالفصحى ، ولكن كان التعليم كله فى المدارس العالية والثانوية والابتدائية ايضا ، لايزال منحرفا عن لغة البلاد العربية ، الى تغليب اللغة الاجنبية فى تدريس جميع العلوم ، ثم زاد الالحاح فى ذلك زيادة شديدة ؛ فكان ذلك تعطيلا تاما للقوة التى تنشأ من ابناء البلاد ومثقفيها ، وجعلها فاقدة للقدرة على التعبير بلسان قومها ، فى العلم الذى أفنت الليالى والايام فى تعلمه ، على علاته ، لمنفعة امتها . وفى مثل هذه الاحوال ، لا يأمن المرء أن يجد استعدادا شديدا للانحراف فى التفكير ، ولا سيما اذا خالط الفكر شىء يقسره على الخضوع لسيادة ارتضاها حبا واعجابا ، أو عنوانا ومذلة ، أو خيانة وسوء نية . وفى هذه الفترة أيضا احتدم ما أحياه البارودى ، فظهر من الكتاب والشعراء من مهدت لهم قواهم أن يتصدروا قيادة الطريق الى احياء العربية ، فى الجماهير الباقية المحبة للغة بلادها ، دون معونة تحدثها المدارس ، من تخريج جمهور محب للغة بلاده ، يتكاثر به عدد هذه الجماهير ، وكان فى مقدمة ورثة البارودى ، فى باب الشعر خاصة ، جماعة تكاثروا ، تقدم منهم شوقى ، وحافظ ، ومطران ، وعشرات من توابع الشعر من بعدهم . ولكن كان أمر الاحياء كما ترى ، كجناحى طائر ، احدهما ناهض تخفق ، والآخر مهشم مكسور مهيض . فكلما تكاثر عدد المتخرجين من هذا التعليم بتكاثر المدارس ، زاد هذا فى جانب العامة ، ولم ينفع خاصة الاحياء العربى بشىء يذكر .

ومضت الحياة السياسية تضطرب منذ احتلال الانجليز لمصر ، واستيلائهم على كل ما فيها سنة ١٨٨٢ ، بعد هزيمة زعيم البلاد ، أحمد عرابى . فنشأ بعده مصطفى كامل ، «وبدأت به حركة جديدة للاحياء من وجوه أخرى كثيرة . وبدأت تتكون نواة مقاومة يغذيها الانجليز والفرنسيون وجميع أعوانهم ممن لهم سلطة أو جالية فى هذه البلاد ، ليحولوا بين دعوة مصطفى كامل ، التى تقوم فى أساسها على الاعتراف بالخلافة التركية ، وعلى الامل فى أن تخرج تركيا من محنتها التى أوقعها فيها العالم الاوربى المسيحى ، الذى طوقها ، وجعل يطعنها من جميع نواحيها ، ثم سماها «مريض أوربا» ، بعد أن سلط عليها كل جرائمه الفتاكة ، بالدس والمكر والخداع . فبعد فترة بدأت دعوة «مصر للمصريين» ، معارضة لمبدأ مصطفى كامل ، واحيطت هذه الدعوة ، بكل الوسائل المثيرة ، التى يكون ظاهرها انقاذ الوطن من براثن الاستعمار الاجنبى ، بما فيها تركيا ، هكذا يقولون ! ، وباطنها تثبيت القواعد الفكرية التى تحمل الشاب المصرى على أن لا يرى شيئا يربطه بشىء من البلاد التى تحيط به ، سوى ظل باهت من الروابط الدينية واللغوية التى فرضت عليه فرضا ، كما قال ذلك بعضهم فيما بعد . ثم يرى أن مرده كله الى مصر وحدها ، والى تاريخها القديم العريق فى الآباد البعيدة ، وهو تاريخ الفراعنة ، الحافل بالآثار القائمة ، والتى يأتى السائحون من كل أوب لرؤيتها أو دراستها . وتولى كبر هذه الدعوة ، بلا اطالة فى الرد عليها أو تفسيرها ، رجل ولد فى سنة ١٨٧٢ ، وأتم تعليمه الابتدائى فى عهد الاحتلال سنة ١٨٨٥ ، وتعليمه الثانوى سنة ١٨٨٩ ، ونال شهادة الحقوق فى سنة ١٨٩٤ ثم تولى تحرير الجريدة ( التى كانت شركة مكونة من محمد محمود ، وعمر سلطان ، وأحمد حجازى ، ومحمود عبد الغفار ، وهى أسماء لها أثر فى بعض تاريخنا السياسى ) ، وهذا الرجل هو «احمد لطفى السيد» .

وهذا الرجل عندى شديد التناقض ، ينبغى أن يعاد درسه بدقة متناهية . فحيثما سرت فى قراءة تاريخه أو آثاره ، اجد له اقوالا متناقضة ، وأعمالا تناقض اقواله ، واحس وانا اقرؤه بجبل من التكلف جاثم على قلبى ، والمس وراء الفاظه ادعاء وكانت ليست فى الطبع ، بل هى مستحدثة بارادة وعزيمة صادقة ، وكلماته توحى لى دائما بشىء له همهمة غامضة ، تخفى أكثر مما تعلن ، حتى لقد وجدت ذلك فى ترجمته لكتب لأرسطو ، وهذا أمر غريب جدا لا يكاد يتفق فى الترجمة على وجه التخصيص ، فظهوره فيها يلفت النظر الى استحكامه استحكاما راسخا فى العظام ، لا فى النفس وحدها . وليس من همى هنا أن احلله تحليلا أدبيا ، ولكن يهمنى أن تعلم ان هذا الرجل هو الذى خلف هذه الدعوة الخبيثة المخرج التى سكن ريحها منذ سنة ١٩٠٢ ، فاعادها هو فى ابريل ومايو من سنة ١٩١٣ ، فى صورة جديدة غريبة ، تتسم بكل هذه الصفات وغيرها ، مما يعين مثله على أن يكتب مثل ما كتب فى شأن اللغة العربية ، وفى هذه المقالات السبعة ضروب من السخف فى الاحتجاج لا يملك

المرء الا أن يعجب من اتفاقهما ، لرجل ذاعت النالة فى الناس على أنه فيلسوف منطقى ، حتى كاد يسمى بالمعلم الثالث !! وهذا اعجب العجب !! ولكن هكذا زماننـــا ! رواج الأحدوثة بالمدح أو بالذم ، يتلقى بالتسليم المغمض العينين ، ويسيطر بالوهم على منابع الفكر ومساربه ٠

ودخل هذا الرجل الى دعوته مدخلا غريبا فى وصف غنى العربية فيما يتناول المعانى والمسميات القديمة، وفقرها فى المعانى الجديدة والمصطلحات العلمية ٠ وظل يدخل من باب ويخرج من باب ، ويلقى ريبة ثم يرحل ، ويأتى بحجة واهية ثم ينقض ، فيطالب الكتاب بأن يتسامحوا فى قبـول المسميات الاجنبية ويدخلوها فى كتابتهم ، كما ادخلهـا الجمهور فى المخاطبة ٠ وهذا كلام من لا يدرى ما عقابيل مايقول، فلا هو رياضى ولا هو منطقى ، يحسن تصور القضايا على وجه الاحاطة والشمول ٠ وكتب معترفا ان هذا الرأى خليق أن ينشر الفوضى فى اللغة ، ولكنه زعم أن الفوضى نافعة وواقعة فى زمن الانتقـال ، وأن لا خطر على اللغة منها مادامت ستخرجها من جمودها الى التطور الراقى الذى يوافق أطماع الامة !! ثم زاد فطالب بأشياء أغرب مما قال سبتا وامثـاله من الخبثاء الماضين ، لا ادرى كيف قالهـا كمطالبته : « أن يحتضن الكتاب المفردات العربية الموجودة فى اللغة العامية ، فيردوا ما تشوه منها الى أصله العربى ويستعملوه صحيحا ، وما لم يتشـوه يستعمل على حاله ، ويستثنى من ذلك ما ابتذل من الالفاظ ٠٠٠ هذا وان استعمال مفردات العامة وتراكيب العامة ، فيه من وجهة أخرى احياء للغة الكلام ، والباسهـا لباس الفصاحة » !! هـذه أفكار عجب ، أمجرد اسـتعمال لفظ عامى وكتـابته ، يلبسه لباس الفصاحة !

ثم افاض فيما ينفع من العلم والفهم ، حتى انتهى الى أعجب كلام : « واقرب الطرق الى هـذا الصلح (يعنى بين العامية والفصحى) ، أن نتذرع الى احياء العربية باستعمال العـامية ، ومتى استعملناها فى الكتابة ، اضـطررنا الى تخليصهـا من الضعف ، وجعلنا العامة يتابعون الكتاب فى كتاباتهم، والخطباء فى خطاباتهم ، والممثلين فى رواياتهم » ٠ وهـذه النتيجة التى انتهى اليها حضرة الفاضل المنطق ، تتفق تمام الاتفاق مع آرائه التى أذاعهـا مرارا ، واعتباره أمر صلة مصر بالبلاد العربية أمرا خرافيا غير مقبول حدوثه ولا متوقع ، لا ذلك اليوم ، ولابعد ذلك اليـوم ٠ وهو كان غير قادر على أن يرى أن العرب أمة واحدة ، ذات لســان واحد ، وعقيدة واحدة ، وكان يفر منها فيما يكتب ، كما كان يفر من الحديث فيها اذا لقيه من يحسن أن يدفع عن رأيه ( وهذه مقالة مجرب ) ٠

ولكن اذا شئت أن أريك تناقض هذا الرجل فى هذا الامر نفسه ، فانى أحيل القارىء على كلمة كتبها هذا الرجل نفسه قبـل ذلك بأربع سنوات ، فى ٢١ أغسطس سنة ١٩٠٩ ، من الجريدة ، بعنوان : « فى انكلترا أيضا » ، فهو يذكر ما رأى من تمجيد القوم هنـاك لشاعرهم العبقرى شكسبير ، وانهم يحلونه فى قلوبهم منزلة أعلى من منزلة كل ملوكهم الأولين ٠ قال : « على ذكـر شـكسبير ، يرد على خاطرى انى سمعت انه استعمل من اللغة الانجليزية، عشرين الف كلمة ، وان فى بعض اساليبه خفاء على كثير من العامة ، ولكنى لا اصدق أن أحدا سمع أنه رمى « بالتقعر » ، بحجة أنه لم يقتصر فى كتاباته على مئات الكلمات التى تكفى للتعبير عن المقاصد فى اللغة الانجليزية » ثم يضرب المثل بما استعمله أبو العلاء المعرى من غريب اللغة ثم يقول : « وانه عـلى ذلك يستحيل على رجل يذوق طعم الكلام أن يرمى أبا العلاء بالتقعر » ثم يقول :

« فما بالنا فى بلدنا نجد كل يوم لهذه الكلمة رنينا خبيثا فى الآذان ، بل نراها على سوء استعمالها وقبح مدلولها ، تسيل بسهولة على كثير من الألسن، كلما صادف بعضهم فى الكتب ، أو على الجرائد ، كلمة يظنها غريبة ، وما هى بالغريبة الا عنده ٠٠٠ ثم يقول : « اذا كان شكسبير ، كما سمعت ، قد استعمل عشرين الف كلمة ، مع أن راسين على غناه لم يستعمل الا اقل من اربعة آلاف ، فأولى بالعربى ان لا يحد لغته الفسيحة ، بحدود ما يستعمل منها فى ميدان باب الخلق ، أو فى سوق الخضار ٠ ان لم يكن التوسع فى الالفاظ للمعـانى ، ولا لمنفعة الادب ، ولا لخدمة اللغـة ، فليكن على الاقل لخدمة القرآن ، الذى بات الكافة لا يفهمون معنى الفاظه ٠ ومن واجبهم ان يفهموه ، فانه انما يتلى لنفهم ٠٠٠ لا بعلم الا الله ، متى نرى شوقى وحافظ بالعين التى يرى بها الانجليز شعراءهم ؟ بل متى نحب وطننا ،

ولغتنـــا ، وآدابنا ؟ ومتى يكون للحق سلطان على نفوسنا ، حتى لا تتخذ الجد لعبا ، ولنتعلم حسن الظن وصدق الانتقاد » .

**لم تمض على هذه المقالة اربع سنوات** ، حتى شرع هذا الرجل ، يضع مشروعا لابادة العربية ، وطمرها فى ركام من الكلمات الاجنبية ، وتحطيم بنائهـا بالعامية تحطيما كاملا ، بلا رعـاية لما ذكـر من « التوسع فى الالفـاظ والمعـانى » ، ومن « منفعة الادب »ومن « خدمة اللغة »،ومن « خدمة القرآن » ، أين ذهب كل هذا الذى قال؟ ومن الذى لوى لسانه؟ ومن اى مصدر جاءته هذه الافكار المضيئة ؟

**ان هذا الرجل** كان أول عربى اجترأ على أن يردد المقالة الخبيثة التى قالها الاربعة الخبثاء المخارج من قبله ، ولكن فى ثياب أخرى ألبسها اياها من ثياب بنات أفكاره !! (وكان الله بالسر عليما) . وبظهور مقالاته التى لا أجد ما أصفها به سوى الخلو التام من المنطق ، والتلبس التام بالتذاكى الماكر ، انضم تيار الدعوة الى استبدال العـامية بالفصحى جدالا ومناقشة ، ثم استعمالا فى المسارح واشباهها ، ومن العجيب أن يجيء توقيت هذه الدعوة التى قام بها هذا الرجل ، على أبواب القلق العالمى الذى أفضى الى الحرب العالمية الاولى، وفى الوقت الذى كانت تتجمع فيه قـوى الامة كلهـا لتنفجر فى وجه الاحتلال البريطانى ، والذى عاق انفجـاره نشـوب الحـرب العـالمية ، واقدام الانجليز على حشد مليون مصرى ونصف مليون باسم « السلطة » ليكونوا وقودا لنار هذه الحرب ، فتأخر ميقاتها الى سنة ١٩١٩ ، فكان لأمر العامية فيها شأن آخر ، سنتحدث عنه ان شاء الله فيما يلى ، والى الاسبوع القادم .

« محمود محمد شاكر »

# مقطوعتان

للشاعرة الدكتورة : عاتكة الخزرجى

## مخدع صورة ...

أصورة من أهوى فديتك اننى
تحيرت أى الموضعين يفضل !

أقرة عينى أم حشاشة خافقى
فان كلا الدارين رحب ومقفل

ولكن عينى قد تنم وانمـا
كتوم الهوى عندى أعز واجمل

فيا قلب افتح مخدعيك وضمها
كما ضم للصدر الكتاب المنزل

## كيف السبيل ...

سـأموت من لهف عليـك
واحسرتاه .. فمن اليك .. ؟

كيف السـبيل الى لقـا
ك فـارتوى من ناظريك ! ؟

مولاى هــذى مهجتى
وقف عليـك وفى يديك !

أترى يسـاعفنى الزمـان
تراه يشـفع لى لديك ؟ !

د . عاتكة الخزرجى

# لامية العرب

للدكتور: فؤاد حسنين على

أو ان شئت فقل ملحمة الصحراء صورة البادية الناطقة ولوحتها الخالدة تعرض لنا قحلها وجفافها، قوتها واهوالها، حمارة صيفها وزمهرير شتائها أوحى بها الى شاعر عاش فى البادية وخبرها فعاف الحضر وكره سكان المدر لأنه :

طريد جنايات تياسرن لحمه
عقيرته لأيها حم اول
تنام اذا ما نام يقظى عيونها
حثاثا الى مستكره تتغلغل

وصاحب هذه اللامية شاعر قحطانى جاهلى ازدى وهو كما تحدثنا المصادر التى بايدينا من بنى الحرث ابن ربيعة بن الاوس بن الحجر · ويعرف باسم الشنفرى وكان وثابت بن جابر وعمرو بن براق أعدى العدائين فى العرب ، وان جرى المثل بالشنفرى فقيل : اعدى من الشنفرى ، ويروى الأصبهانى صاحب الاغانى ان الشنفرى لما كان صغيرا وقع فى الاسر مرة واسره بنو شبابه ، وهم حى من فهم بن عمرو بن قيس عيلان ، فلم يزل فيهم حتى أسر بنو سلامان بن مفرج رجلا من فهم واحد بنى شبابة ، ففداه بنو شبابة بالشنفرى وظل فى بنى سلامان زمنا وهو لا يعلم انه فى الأسر · ولما تبين له ذلك غضب ورحل الى فهم واقام هناك حتى قتل ·

ولا ادل على اهمية هذه اللامية من تعرض أكثر من لغوى لشرحها أمثال المبرد وثعلب والتبريزى والزمخشرى والعكبرى ويحيى الحلبى الغسانى والزوزنى والنقشوانى وابن اكرم وابن زاكور وعطاء الله المصرى والسويدى والسعيدى الحميرى وغيرهم · كما حرصت أمهات مصادر الأدب العربى كالمفضليات وكتاب الوحوش للأصمعى وحماسة ابن تمام والحيوان للجاحظ والشعر والشعراء لابن قتيبة ونقد الشعر لقدامة والعقد الفريد لابن عبد ربه ومروج الذهب للمسعودى والاغانى للاصبهانى وأمالى القالى ومزهر السيوطى والموازنة بين أبى تمام والبحترى للآمدى وصحاح الجوهرى والاتباع والمزاوجة لأحمد بن فارس وجمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى ولزوميات المعرى ومخصص ابن سيده ومحاضرات الأدباء للراغب الاصبهانى ومختارات ابن الشجرى وغيرها على الاستشهاد بها ·

ولعل خير ما تتميز به هذه اللامية ان الشنفرى يبغض أهله ويحتقر عشيرته فهو لا يستهلها بالنسيب وبكاء الاطلال ورثاء الدمن ومدح أفراد قبيلته والتغنى بصفاتهم أو التحدث عن بطولتهم كما جرت عادة بعض الشعراء فيما جاءنا من أشعارهم بل بقوله :

اقيموا بنى امى صدور مطيكم
فانى الى قوم سواكم لاميل
ولى دونكم أهلون سيد عملس
وارقط زهلول وعرفاء جيال
هم الأهل لا مستودع السر ذائع
لديهم ولا الجانى بما جر يخذل

وهكذا نجد عبقرية ابن مالك الازدى تفيض عليه بملحمة يهب فى أبياتها نسيم الحرية ويدوى فى جنباتها صوت الصحراء :

وفى الارض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلى متعزل
لعمرك ما فى الأرض ضيق على امرىء
سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل

ويردد هذا المعنى معن بن أوس فى قوله :

وفى الناس ان رثت حبالك واصل
وفى الارض عن دار القلى متحول

وقال المتلمس :

وفى البلاد اذا ما خفت فائدة
مشهورة عن ولاة السوء مبتعد

ويعبر عنه ابن نمير الثقفى بقوله :

وفى الارض ذات العرض عنك ابن يوسف
اذا شئت منأى لا ابا لك واسع

وقال بحر بن العلاء مولى بنى امية :

وفى اليأس لو يبدو لك اليأس راحة
وفى الارض عمن لا يواتيك مذهب

ويختص الجوع والعطش بابيات تقرب من الثلاثين ويمثل هذا العدد وصفت الصحراء واخلاق الشاعر · والشنفرى فى تصويره للجوع والعطش يرسم لنا لوحة قلما نجدها عند غيره من كبار الفنانين ·

ادیم مطال الجوع حتى اميته
واضرب عنه الذكر صفحا فاذهل
واطوى على الخمص الحوايا كما انطوت
خيوطة مارى تغار وتفتل
واغدو على القوت الزهيد كما غدا
ازل تهاداه التنائف اطحل
فلما لواه القوت من حيث امه
دعا فاجابته نظائر نحل
مهللة شيب الوجوه كانها
قداح بكفى ياسر تتقلقل

وتضيق الصحراء امامه ، ولا يجد من القوت شيئا، فيعرض لنا صورة اخرى يجد فيها الجوع فى شبح ذئب وصفته القصيدة بابيات تعتبر من اقوى الابيات التى وصلتنا فى الادب الجاهلى · اختار الشنفرى الذئب للتعبير عن الجوع وكان موفقا فى اختياره وعرض القطا لتصوير العطش فكان ابلغ وادق :

وتشرب اسارى القطا الكدر بعد ما
سرت قربا احشاؤها تتصلصل
هممت وهمت وابتدرنا واسدلت
وشمر منى فارط متمهل
فوليت عنها وهى تكبو لعقره
يباشره منها ذقون وحوصل
كان وغاها حجرتيه وحوله
اضاميم من سفر القبائل نزل
توافين من شتى اليها فضمها
كما ضم اذواد الاصاريم منهل
فعبت غشاشا ثم مرت كانها
مع الصبح ركب من احاطة مجفل

وغير الذئب والنمر والضبع والقطا عرض لناقته وشبه شجاعتها بفؤاد السبع كما حدثنا عن الالفة التى قامت بينه وبين الاراوى · اما اخلاق الشاعر فاخص ما توصف به الشجاعة والقناعة والصبر وعزة النفس وقد عبر عن هذه الصفات وغيرها بعبارات قوية والفاظ منتقاة :

وان مدت الايدى الى الزاد لم اكن
باعجلهم اذ اجشع القوم اعجل
وما ذاك الا بسطة عن تفضل
عليهم وكان الافضل المتفضل
وانى كفانى فقد من ليس جازيا
بحسنى ولا فى قربه متعلل
ثلاثة اصحاب فؤاد مشيع
وابيض اصليت وصفراء عيطل
هتوف من الملس المتون يزينها
رصائع قد نيطت اليها ومحمل
اذا زل عنها السهم حنت كانها
مرزأة عجلى ترن وتعول
ولست بمهياف يعشى سوامه
مجدعة سقبانها وهى بهل
ولا جبا اكهى مرب بعرسه
يطالعها فى شانه كيف يفعل
ولا خرق هيق كان فؤاده
يظل به المكاء يعلو ويسفل
ولا خالف دارية متغزل
يروح ويغدو داهنا يتكحل
ولست بمحيار الظلام اذا انتحت
هدى الهوجل العسيف يهماء هوجل
اذا الامعز الصوان لاقى مناسمى
تطاير منه قادح ومفلل

فهذه الاسباب وغيرها هى التى جعلت من اللامية ملحمة عالمية خالدة استحقت من علماء اللغات العربية من الغربيين هذه العناية التى صرفت فى دراستها وادراك جمالها فمنذ ان نشرها ( ده ساسى ) واتجهت اليها انظار كثيرين امثال(فرنل)و(فيل)و(كوزجارتن) و ( رويس ) و ( ريكرت ) و ( همربرجشتال ) و ( الفارت ) و ( اداما ميكيفيتشا ) و ( فرين ) و ( ب · بليا ) وغيرهم الذين عنوا بها عناية خاصة ونقلوها نظما ونثرا الى مختلف اللغات الاوربية ·

**ولم تقف عناية الغرب** بهذه اللامية عند هذا بل

نرى كثيرين من علمائه يتسابقون الى اقتناء مخطوطاتها وسد حاجة الباحثين بتوفير نصوصها فاصبحنا لا نقرأ بحثا حولها الا ونجد اشارة الى نسخة امثال ( بيترمان ) و ( شبرنجر ) ومكتبة جوتا او ليدن و باريس او الفاتيكان او اكسفورد وغيرها من دور الكتب الغربية .

وفي عام ١٨٦٤ رأى شيخ المستشرقين ( **تيودور نولدكه** ) ان الوقت قد حان لاعادة النظر في اللامية فانصرف اليها وقتا ثم خرج للعالم بكتاب حول الشعر الجاهلي عرض فيه للاراء المختلفة التي قيلت في اللامية وناقشها ثم قال ماترجمته «ولولا انى رأيت على مخطوطة ( بترمان ) عبارة لامية الشنفرى وقيل انها منحولة ما تطرق الى ذهنى شك في صحتها ، واذا كانت اللامية كما يدعى البعض غير حقيقية ودخيلة على الشنفرى ، فالشاعر الذى قالها يجب ان يكون ملما بالحياة العربية الجاهلية الماما تاما كما ان خياله كان غزيرا جدا حتى انه ليستحق ان يتبوأ اسمى مكان بين الشعراء الجاهليين ... واذا لم تك هذه اللامية لبطل الصحراء فانها صنعت لتنسب لمثله ، وما كان في استطاعة شاعر اسلامى متأخر الخروج عن بيئته والتحدث الينا بمثل قول الشنفرى :

فان تبتئس بالشنفرى أم قسطل
لما اغتبطت بالشنفرى قبل اطول

**ولم يقف امر اللامية** عند هذا الحد من العناية بل نجدها مع مرور الزمن تخطو خطوات واسعة في الاوساط الادبية العربية الاوربية وذلك بفضل العناية التى وجهها الاوربيون الى الشعر الجاهلى ونشر كنوزه ، وبعد أن كانت العناية بهذه الآداب قاصرة على الافراد غزت المجامع العلمية فنجد مجمع ( فينا ) ينشر دراسة لنولدكه في خمس معلقات لزهير ولبيد وعمرو بن كلثوم وعنترة بن شداد والحرث بن حلزة ، كما اصدر معلقتى امرىء القيس وطرفة بن العبد عام ١٩١٣ بعد مجهود عظيم صرفه ( جيجر ) و ( جنر ) ، وبينما كان المجمع العلمى في فينا منصرفا الى مثل هذا النوع من الابحاث اذ بالمجمع البافارى بميونخ ينشر في عامى ١٩١٤ و ١٩١٥ بحثا يعتبر بحق من أحسن الابحاث التى بايدينا حول لامية العرب للمستشرق الالمانى ( جورج يعقوب ) ويكفى أن أقرر هنا ان هذا العلامة لم يقدم على هذا البحث الا بعد أن مهد له بكتاب عن حياة البدو في العصر الجاهلى ، وجمع مختلف المراجع التى تعرضت لهذه اللامية كما عنى عناية خاصة بنبات الشرق العربى وحيوانه وهو في بحثه هذا نراه يصب كل هذه المعلومات في قالب علمى جميل ويناقش في شىء من اللين والدعة الرأى الذى اجمع عليه شراح اللامية للفظ ( سمع ) الوارد في قول الشنفرى :

فانى لمولى الصبر اجتاب بزه
على مثل قلب السمع والحزم أفعل

وقد ذكر الزمخشرى وابن زاكور وعطاء الله والمبرد ان ( السمع ) هو ولد الذئب من الضبع وخالفهم هذا المستشرق وقال ان مثل هذا التزاوج لم يتم بين الذئب والضبع ، واستعان لاثبات صحة هذا الرأى بحديقة حيوان ( هلابرن ) بالمانيا التى نجحت في تجربة التزاوج بين الذئب والثعلب واخفقت في تحقيق ما ذهب اليه شراح اللامية . فالسمع حسب تقرير الرحالة والعلماء وبخاصة علماء الحيوان هو حيوان يشبه الكلب وفي حجم الحمار ، اذا لم تصب الطلقة الاولى منه مقتلا تكونت عنده مناعة ضد الرصاص وهو يهاجم الانسان ويضربه بمخلبه الامامى فيبجر بطنه ويفترسه ، ومن شدة خطره قاطة ، ويطلق عليه علماء الحيوان اسم ( ليكاون وقوة باسه انه لايستطيع الفرد السير ليلا الا في صحبة بيكتوس ) وهو مشهور بقوة السمع حتى يضرب به المثل :

تراه حديد الطرف ابلج واضحا
اغر طويل الباع اسمع من سمع

وغير السمع هذا الحيوان اليمنى نجد في اللامية عناصر يمنية اخرى تكشف عن وطنها ووطن الشاعر ،

فعبت غشاشا ثم مرت كانها
مع الصبح ركب من احاظة مجفل

واحاظة منطقة تقع ببلاد اليمن شمال خط عرض ١٤ وخط طول ٤٤ شرق جرينيتش . ويرى صاحب جزيرة العرب في الجزء الاول ص ٧٨ ــ ٧٩ انه برج ببلاد اليمن . ويذكر البكرى في معجم ما استعجم : وقد قيل ان احاظة قبيلة من ذى الكلاع من حمير وهو الصحيح .

وجاء في اللامية ايضا :

نصبت له وجهى ولا كن دونه
ولا ستر الا الاتحمى المرعبل

فالاتحمى برد منسوب الى اتحم وهى بلد باليمن والآن نسائل انفسنا هل اللامية قصيدة من هذه القصائد التى يعرضها لنا امثال ابن قتيبة في الشعر والشعراء ، ام حلقة من حلقات البطولة العربية الجاهلية التى تطورت فيما بعد الى الملاحم ؟

« د . **فؤاد حسنين على** »

# اللغة والدين

بقلم: عبد الكريم الخطيب

لا يذكر التاريخ أن ديانة من الديانات السماوية او الوضعية قد ارتبطت بلغة من اللغات ، كما لايذكر التاريخ ايضا أن لغة ما قد ارتبطت بعقيدة امة أو جماعة ، وهذا من مسلمات الامور ، اذ العقيدة الدينية فى صميمها مجموعة من الافكار والتصورات لحقيقة الاله او الآلهة على نحو ما .. ثم مايتبع ذلك من عبادات واخلاقيات تتسق مع هذا التصور للالوهية .. وهذه المفاهيم لا تتوقف على لغة بعينها وانما هى صالحة لأن تصور وتحمل فى أية لغة ، وباى لسان .

فهل يمكن أن ينسحب هذا المفهوم للعلاقة بين اللغة والدين ـ على اللغة العربية والشريعة الاسلامية ؟ بمعنى هل يمكن ان تفصل اللغة العربية عن الدين الاسلامى ، ثم لا يكون لذلك أثره فى هذا الدين .. عقيدة وشريعة ؟ والاجابة على هذا السؤال ايجابا أو نفيا يحسم كثيرا من وجوه النزاع بين المحافظين والمجددين ، كما يخفف كثيرا من حدة الصراع فى تلك المعارك الظاهرة والمستترة بين المهاجمين للغة العربية والمدافعين عنها .

فاذا كان للغة العربية شأن بالعقيدة الاسلامية ، واثر فى عرض حقائقها فانه ليس لأحد أن يمس هذه اللغة ، أو يحاول تعديل وجوهها ، أو تغيير معالمها لأن فى ذلك عدوانا على الدين ذاته ، وما لأحد أن يجرؤ على المساس بأى شىء يتصل بشريعة اقامها الله ، وآمن عليها الناس ! وبهذه تصبح اللغة العربية فى حمى مقدس لا ينبغى لأحد أن يعتدى عليها فيه، والا كان من الآثمين .

وان تكن الأخرى ، وهى أن اللغة العربية ليست الا مجرد لغة ، شأنها فى هذا شأن غيرها من اللغات ، يتعامل بها الناس كما يتعاملون بالنقد لتبادل المنافع فيما بينهم ، وأن صلتها بالاسلام ليست الا صلة كلمات تحمل حقائقه التى ضم عليها ، والتى يمكن أن تحملها أية لغة أخرى .. ان يكن هذا فما يبقى للذين يدافعون عن اللغة العربية هذا الدفاع المستميت حجة فى الاحتفاظ بها على الصورة التى صادفها القرآن الكريم عليها ، وان أقل ما ينبغى أن يكون من هؤلاء المحافظين هو ان يدعوا هذه اللغة تتفاعل مع الحياة ، وتختلط بغثها وسمينها ، وأن تتبدل وجوها والوانا حسب دواعى الحياة وحاجات الناس .. فما للناس من حاجة الى اللغة أكثر من الفهم والافهام بها ، على أية صورة تكون عليها ، وعلى اى وجه يطالعهم منها .

وننظر فنجد اصحاب هذه اللغة ـ اعنى اللغة العربية قد وصلوها بالدين من أول يوم التقت فيه بهذا الدين ، بل أكثر من هذا .. اذ نجد الدين نفسه قد وصل وجوده بهذه اللغة ، وعدها اللسان الذى يحدث عنه ، ويبين عن حقائقه ، ويجلى للناس وجهه ، ويشهد للرسالة وللرسول معا أنهما من عند الله ، وعن امر الله .

والشواهد على هذا كثيرة لاتكاد تحصر .

**فأولا** : يسجل القرآن الكريم فى آياته ان اللسان العربى هو اللسان المبين عن مضامين الرسالة الاسلامية ، وفى هذا يقول الله تعالى : « كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون » ويقول سبحانه : « نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين »

وفى حرص القرآن الكريم على التنويه باللغة التى نزل بها ، وتسجيل هذا فى أكثر من آية منه ، مايشعر بان لهذه اللغة فضلا ظاهرا ليس للغة غيرها، وأن اختيار القرآن لها لتكون اللسان المعبر عنه لهو الشهادة التى لا ترد ابد الدهر بأنها أهل للبقاء

والخلود ، ما خلد الدين وبقى .. وفى هذا يقول الله سبحانه مخاطبا النبى الكريم :

« فاستمسك بالذى اوحى اليك انك على صراط مستقيم ، وانه لذكر لك ولقومك ، وسوف تسألون» فهذا القرآن الذى أوحى الى النبى الكريم هو ذكر خالد وتنويه دائم له ولقومه ، وقومه هم العرب ، والامر الواضح للعرب فى القرآن هو لغتهم التى نزل بها .. وبقاء ذكرهم فى الحياة انما هو رهن ببقاء هذه اللغة ترجمانا للرسالة الاسلامية فى الكتاب الكريم الذى تلقاه الرسول وحيا من رب العالمين .

**ثانيا :** وتأسيسا على هذا كانت معجزة النبى محمولة فى هذه اللغة وبلسانها .. فلم يكن للنبى معجزة تشهد له بأن هذا القرآن الذى جاء به هو من عند الله - الا ماتحمل كلمات القرآن ذاتها من تحد لقدر البشر ان يأتوا بكلام مثل هذا الكلام العربى الذى يعرفه العرب ، ويتعاملون به نثرا وشعرا .. « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين » .. « أم يقولون تقوله ، بل لا يؤمنون ، فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين» وتنقطع ألسنة الفصحاء والبلغاء ، أمام هذا التحدى ويقف العرب مبهورين مذهولين بين يدى هذا البيان العلوى .. وهنا يؤذن صوت الحق معلنا هذا الحكم القاطع الذى يملأ أسماع العالمين : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .. انه حكم ابدى ، قائم يتحدى الناس ، ابد الدهر .

فاذا دخل على اللغة العربية مايبدل خلقها ويغير وجهها افيكون مع دعوة نبى الاسلام مايشهد له أنها من عند الله ، وانه رسول الله ؟ ثم أيكون للاسلام بعد هذا حجة على الناس ؟

قد يقول بعض القائلين ان فى الرسالة الاسلامية - بقطع النظر عن اللغة التى حملتها - من معالم الحق والخير ما يقيم لها الحجة على انها دعوة كريمة ، وانها صادرة من جهة تبغى خير الناس ، وتستهدف هداهم ، وأن مضامين هذه الرسالة اذ تحمل بأية لغة ، وفى أى لسان ستجد لها طريقا الى العقول الصحيحة ، والقلوب السليمة ..

ونعم .. هذا حق ، ولكن مع هذا الحق تظل الدعوة الاسلامية بغير اللغة العربية عاطلة من الحلى التى زينها الله بها ، عاجزة عن أن تفحم المجادلين، وتخرس المتخرصين الذين لا يعجزهم فى مقام المحاجة والجدل ان يقولوا ان فى دعوات كثير من الفلاسفة والقادة والمصلحين مايقوم لهذا الذى يدعو اليه الاسلام من عقيدة وشريعة .. يمكن ان يقال شىء كهذا ، ثم لا تكون للذى يريد ان يدفع هذا القول حجة ظاهرة ، قاطعة ! وان مقطع الامر فى هذا هو هذا الاعجاز الذى يحمله القرآن الكريم فى نظمه الذى جاء عليه !

**ثالثا :** وايمانا بهذا الاعجاز اللغوى للقرآن حرص المسلمون الاولون على اللغة العربية حرصهم على الدعوة الاسلامية نفسها ، وانهم حيثما عرضوا الاسلام على أمة أو جماعة لاتتخذ اللسان العربى لسانا قدموا اليها اللغة العربية كأساس من أسس هذه الدعوة ، وكطريق يبلغ بالداخلين فى الاسلام الى الصميم منه ، ويرد بهم أصفى موارد هذا الدين ، واطيب واعذب مناهله .

واما من اخذ الاسلام بغير لغته تلك التى نزل بها من السماء فهو مسلم لاشك ، ولكنه لا يجد للاسلام هذا المذاق الطيب الذى يجده صاحب اللسان العربى ، الذى يتذوق بهذا اللسان مجانى آيات الله ، فيجد فيها من طعم الايمان ، وحلاوة الاسلام مايشيع فى كيانه طمانينة ورضى بهذا الدين، الذى يتشربه قلبه ، وتمتزج به روحه .

وقد كان لهذا الاحساس بالصلة الوثيقة التى بين اللغة العربية والاسلام أثره القوى الواضح فى الامم والشعوب التى دخلت فى هذا الدين ورضيته عقيدة وشريعة لها .. فانه لم تكد تمضى سنوات على اتصال هذه الامم بدين الله حتى تحولت الى أمم عربية فى لسانها ومشاعرها وتفكيرها جميعا وحسبنا شاهدا على هذا امة الفرس ذات الحضارة العريقة الضاربة فى أعماق التاريخ ، تلك الامة المدلة بجنسها، الحفيظة على عقلها ولسانها .. فانها ما ان دخلت فى الاسلام حتى كان اللسان العربى هو طريقها اليه ، ثم لم تمض سنوات حتى كان من ابناء الفرس شعراء وكتاب بهذه اللغة .. ثم كان منهم بعد هذا قادة الحركة الادبية فى الشعر والنثر .. ويكفى ان نذكر هنا من الكتاب عبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع ، والجاحظ ، وابن العميد .. وكل واحد منهم دولة قائمة بذاتها فى الادب العربى .. وان نذكر فى الشعر

بشار بن برد ، وابا نواس ، وابن الرومى ومهيارا الديلمى .. وكل واحد منهم ايضا هو علم مفرد فى دولة الشعر العربى .. وهؤلاء ، وهؤلاء جميعا وعشرات غيرهم من أعلام الشعر والنثر – هم من ابناء الفرس ، أو ممن يغلب عليهم الدم الفارسى .

فاذا تركنا الادب الي اللغة والنحو ، والصرف ، والفقه والتفسير ، والحديث .. ثم الفلسفة والمنطق والطب والموسيقى والغناء ، وغيرها من فروع الثقافة الاسلامية العربية – وجدنا أن اكثر الرجال واقدرهم فى كل فرع من هذه الفروع انما هم من ابناء الفرس ، أو ممن يحسبون من ابناء الفرس .

وليس هذا الا لأن اللغة العربية دخلت الى عقولهم وقلوبهم مع الدين نفسه فكان لها هذا الولاء وهذا السلطان الغالب عليهم . فاعطوها من ذات انفسهم الحب والاعزاز كانها شعيرة من شعائر الدين ، وفريضة من فرائضه ، ولهذا أعطتهم اللغة افضل واكرم ما فيها من بلاغة وبيان !

وليس ينقض هذا القول ما حدث بعد ذلك من نكوص الفرس على أعقابهم ، وانسلاخهم من اللسان العربى والردة الى اللسان الفارسى .. فقد كان ذلك عن فتن كقطع الليل غشيت المجتمع الاسلامى فترة من الزمن ، فاستشرى شرها ، واطبق ظلامها حتى لقد غطى على مشاعر الدين نفسه ، وذهب أو كاد يذهب به من كثير من القلوب .. وذلك ان التعصب على العرب الذى اثارته الحركة الشعوبية قد اصاب الرءوس بصداع حاد عنيف ، ذهب معه كل تقدير وتفكير ، فلم يعد – والامر كذلك – فسحة فى النفوس تقبل أى شىء من العرب حتى ولو كانت اللغة التى عرفوا بها وجه الدين الذى عاشوا فيه وسعدوا به ، والتى ملكوا بها اعنة الفصاحة والبيان، وفتحوا بها مغالق العلوم والفنون .. وقديما قيل : العناد يورث الكفر !

وقد يسأل سائل بعد هذا : كيف يمكن ان يرتبط الدين باللغة أو ان ترتبط اللغة بالدين هذا الارتباط الذى لا انفكاك له .. ثم يبقى كل منهما صالحا للحياة عاملا فيها ؟ ان ذلك اشبه بمن يربط شخصين بحبل ثم يهتف بهما أن يمشيا أو يجريا .. والنتيجة اللازمة لهذا لا تحتاج الى بيان !؟

فالدين الذى يحكم عليه أن يتحرك فى الحياة بلسان واحد ، وبلغة واحدة هو دين مغلق على اهله ، لا يعيش فى غير موطنه ، ولا يجاوز حدود اللسان الذى ينطق به .. وانه اذا صح هذا مع دين من الاديان ، فهل يستقيم مع الدين الاسلامى ، وهل يتسق مع دعوته التى يدعيها بانه دين الانسانية جميعها ؟

واللغة ؟ اللغة التى يحكم عليها ان تكون لغة عقيدة ، وترجمان شريعة .. هى لغة مقدسة ، محكوم عليها ان تعيش فى هذا الافق الروحى ، وان تنعزل بطهرها وقداستها عن مضطرب الحياة وغبار الصراع الدائر فيها .

فاذا استقام هذا مع لغة من اللغات ، فهل يستقيم ذلك مع اللغة العربية التى يعيش فيها ، ويتعامل بها ملايين البشر ، ويجرونها معهم فى كل ميدان من ميادين الحياة .. فى مواطن الجد والهزل ، وفى مجال العلم والفن ؟

ان ذلك محال .. الا ان تنحل الرابطة التى بين اللغة وبين الناس ، والا ان تضيع معالم اللغة ، أو يضيع اهلها !

وندع الجواب على مايقال من جناية اللغة على الدين ، وحبسه فى دائرتها الضيقة المحدودة .. فتلك قضية اخرى ، وراء هذا الموضوع الذى نعالجه .

وننظر فيما يقال من جناية الدين على اللغة فى ربطها به ، وجعلها لغة مقدسة تعيش فى عالمها الروحى الطهور ..

ونقول : ان الدين – دين الاسلام – الذى ترتبط به اللغة العربية ليس معتقدا روحيا وحسب ، وليس نظريات تجريدية تعيش فى كيان اصحابها ، ويعيش بها اصحابها فى عزلة عن الحياة ، وفى غفلة عن واقعها ... وانما الاسلام دين الحياة الانسانية فى وجودها كله .. فى مادياتها ومعنوياتها جميعا .. دين يتحرك مع الناس ، أو يحرك هو الناس الى كل مجال يمكن ان تتسع له قواهم النفسية والروحية والجسدية !

فالاسلام فى صميمه قواعد تنظيمية من شانها ان تعقد التصالح بين مطالب الجسد وهواتف الروح ، وأن تقيم التوازن بين نزعات الفرد ، ومصلحة الجماعة ! .. ثم ليس فى الاسلام بعد هذا

مايحول بين الانسان وبين ان ينطلق الى كل مجال يمكن ان يبلغه جهده ، وتتسع له حيلته ، فى كل أفق من آفاق الحياة وفى كل وجه من وجوهها .. فانه لا خوف على الانسان بعد أن ضبط الاسلام خطوه على طريق الحق الخير ـ لا خوف عليه بعد هذا من ان يتحرك فى اى اتجاه كيف شاء !

واذ كان ذلك كذلك فانه لا محل للقول بأن اللغة العربية يدخلها اى ضيم من ارتباطها بالدين ، وقيامها من ورائه .. بل ان الامر لعلى عكس هذا تماما .. اذ ان حياتها الى جوار هذا الدين بصفته التى نعرفها له ـ يضمن لها البقاء والخلود ، ببقائه وخلوده ، كما انها تكسب كثيرا من المشاعر والوجدانات التى تضفى عليها الجدة والقوة والجمال ، كلما نظر اليها من خلال الدين ، واستدعاها أصحابها من آفاقه الطيبة المشرقة !

ولقائل ان يقول : هذا حديث سوى على منطق التصورات ، وبناء قائم على قضايا تجريدية لاتثبت للتجربة ، ولا تستجيب لواقع الحياة !

فهل حقا ضمن الدين للغة العربية البقاء والخلود ؟ وهل اكسبها اتصالها به وربطها معه جدة وقوة وجمالا ؟

ذلك سؤال .. وله جواب !

ولكن قبل ذلك : هل اللغة العربية حقا هى أهل فى ذاتها لأن تبقى وتخلد ؟ وهل هى صالحة حقا لأن تكسب من احتكاكها بالدين ، وتمسحها به جدة وقوة وجمالا ؟

ذلك سؤال ايضا .. وجوابه فى لقاء آخر .

**« عبد الكريم الخطيب »**

# شباكنا

للشاعر : إبراهيم الشلوانى

**شباكنا صدات مفاصله ـ تصوف واتقى**
**والنجم فوق جبينه غنى له متشوقا**
**انغامه دمعت على اضلاعه اما اشفقا ..**

**يبست خدود الفل .. والليمون جف تعشقا**
**وشجيرة النارنج يصعد غصنها متسلقا**
**مالت عليه تبوح لاهثة .. وهم .. فاخفقا ..**

**وشعاره الوردى اشبعه الضياع تمزقا**
**خيطانه من رعشة الحمى ترف تعلقا**
**كانت حكايات لديه تموج طيفا شيقا**

**الليل يابى ان تعود له وان يترفقا**
**والأمنيات على الرتاج تسيل عطرا أزرقا**
**الوهم فى الثلج الضرير رماه عبدا موثقا**

**القى عليه الظل حرمانا ووجدا احمقا**
**جاء الصباح اليه يعطيه .. فصد ، واطرقا**
**شقيت على مصراعه النجوى وبات مؤرقا**

**والورد اطرق فوق شرفته رجاء مرهقا**
**شباكنا رغم الغيوم السود .. ذاب تحرقا**

# الاستعراب العام
# في الوطن العربي

للدكتور : أحمد محمد الحوفي

- ١ -

تبين من تتبع الهجرات العربية الى الوطن العربى أن بعضها كان قبل الاسلام ، وانها كانت موجات كثيرة متلاحقة بعد الاسلام ، وأن العرب أقاموا فى أصقاع الوطن العربى ، واختلطوا بسكانه ، ثم امتزجوا بهم ، حتى غلبت دماؤهم على دماء السكان الأولين .

وتبين أن الشعوب التى كانت تعمر أقاليم الوطن العربى استعربت منذ الفتح ، واصطنعت اللغة العربية لغتها الشعبية والرسمية والأدبية والعلمية ، وتثقف بنوها بالثقافة العربية ، وتزوجوا من العرب وتزوج العرب منهم ، فكان استعرابهم قاطعا للعلاقات التى ترجع بهم الى أصولهم البعيدة ، وصاروا لا ينتسبون الى غير العرب ، ولا يعرفون بين الشعوب الا بأنهم عرب .

وقد ساعد على ذلك أن القصور والدور زخرت بالسبايا والحرائر من أمم شتى ، فنشأ جيل جديد من العرب أخواله ليسوا من العرب ، وأن أكثر السكان قد اعتنقوا الاسلام عن طواعية واختيار ، فلم يكتمل القرن الثالث الهجرى حتى كان الناس قد دخلوا فى دين الله أفواجا ، ولم يبق على دين مغاير الا قلة من الناس ، وكان اسلام هؤلاء من الأسباب التى سهلت زواجهم بعربيات .

على أن كثيرا من العرب صاروا منذ أواخر القرن الأول للهجرة يحترفون الزراعة فى البلاد المفتوحة ، وجعلوا يندمجون بالسكان ، فلما جاء الخليفة العباسى المعتصم سنة ٢١٨ - ٢٢٧هـ ( ٨٣٣ - ٨٤٢م ) استكثر من جند الترك ، واستغنى عن جيوش العرب ، وأسقط أسماءهم وأرزاقهم من الدواوين ، فانصرفوا الى الزراعة والتجارة ، وازداد اندماجهم بغيرهم ، حتى صاروا لا يفترقون عنهم فى الطابع العام .

وليس من شك فى أن سكان البلاد المفتوحة الذين أسلموا والذين لم يسلموا تبينوا أن العرب حرروهم من استبداد الفرس وعسف الروم ، وكفلوا لهم أسباب الأمن والعدل والرخاء والحرية والمساواة ، فاندمجوا بهم اندماجا وحدهم فى الوطن العربى الكبير .

ولقد ظاهر هذه الوحدة ، ودعم أركانها أن نظام الحكم لم يكن قسريا ( اضطر اليه الغالب المغلوب ، أو فرضه القوى على الضعيف ، بل كان نظاما خضع له الغالب والمغلوب معا ، لأنه مستمد من الاسلام الذى يدينون به ، ولأنه مرتكز على عقيدة الغالبين والمغلوبين ، ولهذا رجعوا به جميعا ، وارتضوه جميعا .

هذا الى وحدة التشريع الاسلامى المستمد من الكتاب والسنة ، فكانت القوانين التى تقوم عليها الأحوال الشخصية والمعاملات والأخلاق واحدة بين المسلمين ، وكان من حق غير المسلمين أن يتقاضوا الى المحاكم الاسلامية وفقا للشريعة الاسلامية ، على حين أن حريتهم مكفولة فى التقاضى أمام محاكمهم الخاصة ، وحقوقهم مصونة فيما يتصل بأحوالهم الشخصية .

ولهذا نجد الأدباء - سواء العرب والمستعربون - يشيدون بماضى أجدادهم من العرب ، ويباهون بحضارة أسلافهم من العرب ، وينوهون بعظماء العروبة ، ويبكون ماضيها المجيد ، كما نجدهم يصورون الوجدان المشترك تصويرا ناطقا بالاخاء

والتعاطف ، وهم فى هـذا كله عرب معرقون فى عروبتهم ، وان انحدر بعضهم من أصل بعيد غير عربى .

- ٢ -

**وليس العرب بدعا فى هذا** ، بل هو شأن الأمم كلها ، فالأمة الانجليزية مثلا ترجع الى قبائل السلت التى كانت تستوطن الجزائر البريطانية ، والى الأجناس البريطانية والجرمانية والرومانية ، والنورماندية التى وفدت عليها ، ثم تمازجت كلها تمازجا أنتج الأمة الانجليزية المعاصرة .

وقد تنبه الجاحظ منذ اثنى عشر قرنا الى أن الاتحاد فى اللغة والموطن والأخلاق والعادات لا يقل أثرا عن وحدة الجنس والنسب فى قوله : « ان العرب استووا فى التربة وفى اللغة وفى الشمائل والهمة ، وفى الأنفة والحمية ، وفى الأخلاق والسجية فسبكوا سبكا واحدا ، وأفرغوا افراغا واحدا ، وكان القالب واحدا ، فتشابهت الأجزاء ، وتناسبت الأخلاط ، حتى صار ذلك أشد تشابها - فى باب الأعم والأخص وفى باب الوفاق والمباينة - من بعض الأرحام ، وجرى عليهم حكم الاتفاق فى الحسب ، وصارت هذه الاسباب ولادة أخرى ، حتى تناكحوا عليها ، وتصاهروا من أجلها ، وامتنعت عدنان قاطبة من مناكحة بنى اسحاق وهو أخو اسماعيل ، وجاءوا بذلك لبنى قحطان . ففى اجماع الفريقين على التناكح والمصاهرة ، ومنعهما من ذلك جميع الأمم دليل على أن النسب عندهم متفق ، وأن هذه المعانى قد قامت عندهم مقام الولادة والارحام الماسة » .

- ٣ -

ولكن ليس معنى هـذا ان العـرب قوم خلصت دماؤهم من عناصر أخرى فى وطنهم الكبير الممتد من الخليج الى المحيط ، ومن جبال طوروس الى المحيط الهندى والحبشة ، فانه من المستحيل أن تخلص دماؤهم من دماء أخرى ، وهو اليوم نحو مائة مليون ، ولكن معناه أن الدم العربى هو الذى ساد وغلب .

ومن الخطا أن نحصر العروبة فى الملايين الذين يقطنـون فى العـراق وسورية ولبنـان والأردن وفلسطين وفى جزيرة العـرب ، بدعوى أنهم هم العرب ، لأن دماء العرب فى هذه الأقاليم لم تسلم من الامتزاج بدماء أخرى .

كما أن من الزلل أن تنفى العـروبة عن مصر وشمالى افريقية والسودان ، بدعوى أن سكان هذه المناطق منحدرون من جنس غير عربى ، فقد تبين أن هذا وهم ينقضه التاريخ ، وبخاصة بعد الاسلام .

واذن فان الدماء العربيـة التى سرت فى الوطن العربى قبل الاسلام وبعد الاسلام سريانا مستمرا متواليا هى الدماء الغالبة ، وهى التى ينتسب اليها سكانه ، ويعتزون بها ، ويمتازون من الناس .

- ٤ -

لا شـك فى أن العـرب هم **الأكثرون** فى الوطن العربى ، تدفقت هجـراتهم من الجـزيرة الى أقاليم الوطن العربى قبـل الاسـلام ، وانساحت موجاتهم وتلاحقت بعد الاسلام ، فاختلطوا بالسكان الأصليين وامتزجوا بهم ، وصاهروهم ، فتمازجت دماؤهم ، وتوحدت لغتهم وثقافتهم وتاريخهم ومشاعرهم فى وطنهم الواحد ، فصاروا جميعا عربا .

ولكن هذا لا ينفى أن فى الوطن العربى عناصر غير عربية الأصل ، بعضها استقر قبل الاسـلام ، وبعضها وفد بعد الاسلام ، مثل الأكراد فى العراق وسورية ، والشركس فى سورية والاردن ، والترك فى العراق وسورية .

ولكن هؤلاء جميعا متحدون مع الأكثرية العربية فى الوطن والتاريخ والدين والمصالح المشـتركة ، ويتكلم أكثرهم باللغة العربية .

أما الأرمن فى الشام ، فانهم على قلة عـددهم مرتبطـون بالأكثرية بالمصـالح المشتركة ، وهم فى طريقهم الى الامتزاج والاستعراب .

غير ان هـذه العناصر القليلة الضـئيلة ليس من شـأنها أن تنفى عن الأمة العـربية صبغتها القومية الكاملة ، لأن القلة الضـئيلة امتزجت بالعـرب ، وانطبع أكثرها بالطابع العربى ، فصارت عـربية الوطن واللغة والثقافة والتاريخ والعادات .

وليس يشذ عن هـذا سوى السـود فى جنـوب السودان ، وقليل من البربر فى المغرب ، وهـؤلاء وأولئك قلة فى الاقليمين ، وأضأل من القلة بالنسبة الى عدد العرب جميعا فى الوطن العربى كله .

- ٥ -

**العرب اذن جنس واحد** ، أو هم يرجعون الى عرق واحد ، اما بالأصل واما بالاستعراب ، ولكنهم مع هذا لا يدعون الى العنصرية ، ولا يقيمون قوميتهم على نعرة معادية لسواها .

وشتان ما بينهم وبين اليهود ، فاليهود يعتبرون أنفسهم - بالباطل - جنسا قائما بذاته كما يدعى زعماء الصهيونية ، زاعمين أنهم لم يختلطوا بغيرهم من الاجناس ، وانهم يمثلون عرقا واحدا متميزا فى سحنهم وأشكالهم .

ولكن الحق يبرأ من هذه الدعوى ، فان اليهود قد خالطوا شعوبا عدة ، وجرت فى عروقهم دماء شتى ، ولهذا نرى فيهم تباينا فى الأجسام والأشكال، ففيهم الطوال والقصار ، وفيهم السمر والشقر ، وفيهم أصحاب الشعر الأسود والأصفر ، واصحاب الشعر الناعم والمجعد .

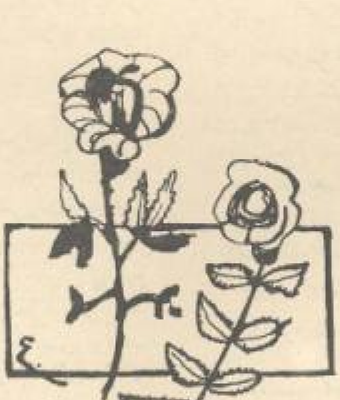
وهكذا يتباين اليهود فى اليمن ومصر والشام والمغرب وأوروبا ، بل ان سحنتهم تختلف فى الوطن الواحد ، ففى المانيا يتميز يهود بادن برءوسهم العراض ، ويمتاز يهود كولونيا وفرانكفورت بوجوههم المفلطحة أو المستطيلة ، ولهذا ينفى علماء الأجناس من اليهود هذه الصفة المدعاة ، فيذكر بيتارد فى مؤلفه عن الأجناس ان علماء الأجناس البشرية - ماعدا بعض اليهود المتعصبين لدعوى العنصر اليهودى النقى - يقررون ان اليهود جميعا أبعد من ان ينتموا الى ما يسمى بالجنس اليهودى ، لأنهم متباينو العناصر الى أبعد الحدود ، ويستنكر دعواهم فى قوله : نتساءل تجاه بعض التحاليل الدراسية للجنس فى مختلف الشعوب : الى أى حد تحتوى جماعة يهودية على العنصر اليهودى الأصيل ، هذا العنصر الذى نشأ بجوار البحر الميت ، وكان منه الشعب الذى سموه بالشعب المختار ؟

ويرد على هذا الزعم بالنفى ، ويؤكد ان تباين اليهود فى السحن والأشكال راجع الى اختلاطهم واندماجهم طوعا أو كرها بغيرهم من الشعوب.ويتفق معه ريبان فى هذا ، اذ يقول : ليس هناك شكل يهودى معين ، بل هناك اشكال وسحن لليهود متعددة . وكذلك يؤكد هانز جونتر وهو من المختصين بدراسة الاجناس ان اليهود مكونون من عدة اجناس واصول وان ادعاءهم نقاء جنسهم لا يمت الى الحقيقة العلمية بصلة .

- ٦ -

اما وقد اتضحت الوحدة الدموية فى الوطن العربى فماذا كان لها فى الشعر المعاصر من اثارة وأصداء وآثار ؟ ذلك موضوع البحث القادم ان شاء الله .

**د. احمد الحوفى**



# معاول الهدامين

للدكتور : ماهر حسن فهمي

مازالت مجلة الرسالة تسلط الأضواء على الهدامين وهم يرفعون معاولهم متسترين ، لينهالوا بها على حصوننا ، وقد تكاثرت أذرعهم حتى اصبحوا يشكلون خطرا حقيقيا ، فبات من الضرورى اراقة السموم القاتلة التى تنفثها هذه الاقلام الموجهة فى الوطن العربى كله . ووراء المنظمات العالمية للثقافة يختفى المحركون ، وباسمها تنظم المؤتمرات ، وهناك يكشر الهدامون عن أنيابهم بدعوى الثقافة العميقة ، وبدعوى الحرية المطلقة ، وبدعوات التجديد . ومن أخطر هذه المؤتمرات التى تعقد بين الحين والحين مؤتمر الادب العربى المعاصر المنعقد فى روما أواخر أكتوبر عام ١٩٦١ بادارة مجلة «تمبوبريزنته» ، ومعهد الشرق الايطالى ، والمنظمة العالمية لحرية الثقافة .

ويلحظ الدارس لأعمال هذا المؤتمر التى طبعت بعد ذلك بوقت طويل ، عملية حفر القبور للغة الفصحى وللثقافة العربية واقامة التماثيل لأدب الجنس وتعبيد طريق معين للأدب العربى المعاصر . وما كان من الممكن لهذه المنظمات أن تنفق بسخاء على هذه المؤتمرات من أجل البحث فى عبقرية الأدب العربى المعاصر مثلا أو من أجل حرمان كل عباقرة العرب من جائزة نوبل ، بل أثير ما أثير تحت اسم الحرية العالمية للثقافة .

ضم المؤتمر عددا ضخما من المستشرقين الايطاليين والفرنسيين والانجليز والامريكان الى جانب عدد محدود من المفكرين والأدباء العرب المعروفين بموقفهم الصلب من التيارات الاستشراقية الموجهة كالدكاترة ابراهيم بيومى مدكور وبنت الشاطىء وجبرا ابراهيم جبرا الاديب الفلسطينى ، وتوسع ملحوظ فى عدد الادباء المعروفين بميولهم الهدامة مثل أدونيس ويوسف الخال ومحمد عزيز الجبالى الاديب المغربى وبدر شاكر السياب، وان كان الاخير قد غير موقفه أخيرا فخيب ظنهم وقد كان من المفيد حقا تكتل القوى الغيورة على الثقافة العربية ، وان كان من المؤسف أن كثيرا من مناقشاتهم قد اختصرت اختصارا مخلا فى مجموعة الأعمال المطبوعة ، وبرزت الآراء الهدامة بصورة تستوعبها عين القارىء استيعابا شاملا .

فاول كلمات المؤتمر كانت للمستشرق الايطالى «ديلافيدا» ، وهو يعترف فى مطلع كلمته بأنه لايعرف العربية كما ينبغى ، الا أن حجته فى ذلك هى عبء تعلم العربية الثقيل ، ولا تلبث هذه المقدمة أن تقربه من هدفه الذى يرمى اليه حين يحدده فى نقطتين هما : علاقة الاديب العربى بالتقليد الكلاسيكى واختياره بين الادب الفصيح والادب العامى . وحين يتحدث عن الفكرة الاولى يقارن بين الفصحى واللاتينية التى انحلت الى اللهجات المحلية فى ايطاليا وفرنسا وغيرهما ، ويحس أن بعض الادباء العرب سوف يتحدثون عن ضرورة العربية للابقاء على الوحدة المنشودة فلا يلبث أن يقرر ذلك ولكنه يخلص منه الى أن هذا لا يمنع أن تكون الشقة بين لغة الكتاب ولغة اللسان عائقا يعيه كل أديب ويشعر بوطأته القوية . وهذا العرض يحمل أجمل الحلول فى نظره وان لم يصرح بالحل المنشود ، فالبلد الذى كان يكتب باللاتينية فضل أن يكتب بلهجته المحلية وان أدى ذلك الى تمزق وحدته ، وهكذا ينبغى أن يصنع العرب ، حتى لا يشعر الكتاب بضغط الفصحى الوهمى عليهم . هذه العبارات يلقيها «ديلافيدا» كحقائق مقررة ،وكأنه يعلم أننا نجهل سقوط الامبراطورية الرومانية على أيدى القبائل الجرمانية ، وما كان من المنتظر أن تشعر هذه القبائل الجرمانية بالولاء للاتينية كمايشعر أحفاد الرومان . فالكنيسة المسيحية ورثت فكرة الامبراطورية الرومانية ولذلك تشبثت باللاتينية وما زالت متشبثة ، ووضعتها موضع التقديس ، أما الشعب الذى أتى بلهجاته ، وهى لاتمت بصلة الى اللاتينية ، فانه استفاد قدر ما استطاع من اللاتينية، وعلى مر قرون طويلة استطاع أن يوجد لغة محلية

جعلها لغته المكتوبة فيما بعد • ومن السخف أن تصور أنفسنا تتمرد على اللغة العربية بلهجاتنا المحلية لأننا كالقبائل الجرمانية تجاه الامبراطورية الرومانية •

**أما الفكرة الثانية** التى يدور حولها المستشرق الايطالى ، فهى مدى تفاعل الاديب العربى مع تراثه فيرى أنه تراث دينى لايلائم الواقع الذى يعيشه الاديب ، ومن المؤلم أن يعيش الاديب فى تناقض قائم بين تراثه الذى كان يمثل العقلية « القروسطية » أو عقلية القرون الوسطى وبين محاولاته لينفض عن كاهله هذا التراث الدينى ، فيلاحظ باعجاب كيف استطاعت العقلية الاوربية أن تؤثر تأثيرا واضح المعالم فى الادب العربى خلال القرن العشرين والتباكى على الاديب العربى وواقعية الادب ومحاولة اقتلاعنا من جذورنا لنصبح مجتمعا لا تاريخ له يسهل تذويبه ، نغمة سمعناها من قبل من سلامة موسى ومن غيره من بعض كتابنا المعاصرين ، وقد تبناها فى المؤتمر كثيرون كان أولهم يوسف الخال فى بحثه المدمر عن « الاديب العربى فى العالم العربى الحديث » ويتلقف يوسف الخال كلمة ذلك المستشرق عن التناقض ليقول مفسرا وجهة نظر الهدامين : « هذا التناقض بين كوننا شكلا فى العالم الحديث وكوننا جوهرا خارجه ، يضطرنا نحن الادباء العرب الى معاناة قضايا مجتمع قديم فى عالم حديث ، ومعاناة قضايا عالم حديث فى مجتمع قديم • فى التعبير عن معاناتنا الاولى نعرض أنفسنا لانتاج أدب يجده القارىء الحديث بعيدا عن قضاياه ومشكلاته ، وفى التعبير عن معاناتنا الثانية نعرض انفسنا ، من جهة أخرى لانتاج أدب يجده القارىء العربى مستوردا غريبا •

كنا نستطيع ، قليلا أو كثيرا أن نتخطى هذه الصعوبة ، فنكتب أدبا يعكس حياتنا ويعالج قضايانا الخاصة على نحو يهم القارىء فى كل مكان ، لو لم نكن فى عملنا الادبى مكبلين بصعوبات أخرى هى أيضا فى أساسها ، قائمة أو لاتزال قائمة لفقدان الحداثة فى عالمنا العربى •

أولى هذه الصعوبات اللغة : هل تعلمون أننا نفكر بلغة ونتكلم بلغة ونكتب بلغة ؟ أنكون اذن فى رأى البعض كالدكتور ليفيز لا نكتب أدبا قط لأننا لا نكتب بلغة الشعب ، بلغة الحياة ؟ ألم يبدأ الادب الانكليزى مثلا بتشوسر ، والايطالى بدانتى ؟ هذا الحرص الذى يبديه العرب على تمجيد اللغة فى قواعدها القديمة المتوارثة دليل واحد على أن العقل العربى ليس حديثا بعد ، اى ليس بهذا الصدد علميا ولا علمانيا ، فهو ما يزال يخضع الحقائق الموضوعية للرغائب الذاتية • فمن الحقائق الموضوعية مثلا أن اللغة تتطور مع الزمن ، وأنها انما تتطور على ألسنة المتكلمين بها ، على أن رغبتنا الذاتية فى أن نرى أنفسنا أمة عربية موحدة ، تحملنا على التمسك بلغة عربية موحدة خرجت من الأفواه الى بطون الكتب . **كنا نعتبرها لغة الوحى** فمنعناها من أن تتطور التطور الطبيعى الذى جرت على سنته جميع اللغات • **واليوم ، اذ ضعفت** الاعتبارات الدينية فى نفوسنا ، أقمنا فى وجهها عائقا من نوع جديد ، حين أخذنا نعتبرها لغة القومية العربية •

ثم يعود بكل حقده وتنكره ليهاجم الاسلام والتراث واللغة ، فلا يرى فى ذلك كله الا محاولات فاشلة أمام اقامة مجتمع سليم وأدب مزدهر : «وكم حاول أسلافنا فى مختلف مراحل تاريخنا أن يرسموا بالدماء حينا وبالدموع حينا آخر ، خطوط هذه الحدود ويفرضوا فى نطاقها وحدة لغوية وحضارية فاخفقوا ، **وكانت آخر المحاولات الاسلام ، وحين أخذ يتصدع كقوة سياسية واجتماعية فى عالم اليوم ، أحللنا محله فكرة القومية ، فهل ننجح نحن حيث أخفق أسلافنا من قبل ؟ ••• هذا التقطيع التاريخى هو صعوبة أساسية أخرى أمام نمو أدبنا العربى وازدهاره • »**

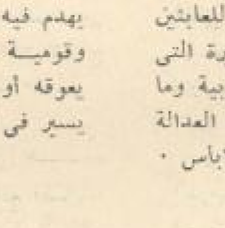
واذا كان المستشرق السابق قد تحفظ أمام فكرة القومية فرفع معوله ولم ينزل به ، فان يوسف الخال قد نزل به مرة ومرات محاولا التدمير الشامل دون تحفظ ، وانما هدفه أن يهدم ويهدم ليقف على الأطلال سعيدا بما حقق من واقعية وأشد سعادة بما حقق للهدامين من أهداف • ففى الوقت الذى أحيت فيه اسرائيل اللغة العبرية الميتة نحاول نحن أو يحاول الهدامون أن يدمروا كل قيمنا لكى تحل محلها قيما أوربية فنحقق أهداف المنظمات العالمية لكى نصبح انسانيين ، وهذه هى العقبة الثالثة فى رأى يوسف الخال ، أمام الادب العربى ؟ « واذا

كان شيء في تراثنا يحول دون هذا الاتصال والانفتاح فبئس هذا الشيء . كنا فيما مضى شركاء عاملين في حضارة الانسان ، ويجب أن نظل كذلك اليوم . أعطيناها حين أمكننا العطاء ، فلا عار علينا اذا أخذنا منها اليوم ، بل العار في ألا نأخذ اليوم لكي نستطيع العطاء غدا . هؤلاء هم الثوريون الحقيقيون في عالمنا العربي عنوان ثورتهم ، كل ما يقف عائقا أمام اشتراكنا في تجارب الانسانية كلها ، أمام وحدتنا مع الحياة الانسانية ، هو ليس من تراثنا الحقيقي الأصيل ... من شرفة التراث الحضاري كله ، منذ قلقامش وهوميروس وطاليس وسوفوكليس حتى فولكنر وسان جون بيرس وهيديجر ، يجب أن نصنع أدبا . »

**أما الصورة الرابعة** التي تعوق يوسف الخال عن أداء رسالته على الوجه الأكمل فهي الطغيان السياسي في بعض مجتمعاتنا العربية ، فمحاولة تحقيق فكرة القومية العربية طغيان سياسي شديد ، لانه ينفي الاعتبارات العالمية والانسانية التي يسعى اليها . أما تحقيق العالمية وذوبان القومية واهدار كرامة الانسان بوسائل محاكم التفتيش وتمكين الاستعمار في كل صوره والانفلات من كل القيم وطعن المسلمين في اسلامهم والالتزام في الادب من أجل تحقيق هذا التدمير فلا طغيان في ذلك ، لانه يحقق حرية الهدامين وأهداف يوسف الخال . ففي هذا الصراع العنيف بين القومية العربية وأعدائها لاينبغي أن نحمي أنفسنا ، ولا ينبغي أن نحذر كما يفعل أعداؤنا وانما ينبغي أن نفسح الطريق للعابثين بالقيم باسم الحرية المطلقة . « الفكرة الكبيرة التي تستحوذ علينا اليوم هي فكرة القومية العربية وما تعده من بناء مجتمع واحد كبير تسود فيه العدالة وتتوفر عناصر القوة والكرامة والتقدم . لابأس . الفكرة جميلة ، وعسى أن تتحقق ، انما كيف ؟ وعلى حساب ماذا ؟ ... الطغيان السياسي من أجل تحقيق غاية مثلى ، وسيلة عتيقة حان لها أن تبلى . الانسان الحر وحده يحقق كل غاية ، بعبوديته لا يتحقق شيء . الانسان في كمال حريته وكرامته هو قبل أي غاية . من له أذنان للسمع فليسمع . اذا كان ما نهدف الى بلوغه حق ، ونؤمن أنه حق ، فلا حاجة بنا قط الى أن نتوسل الى بلوغه غير وسيلة حق . والطغيان السياسي بما يزرعه من رعب في النفوس ، وبما يقيم من موازين الفكر والسلوك ، ليس بالوسيلة الحق ، الوسيلة الحق هي احترام حرية الرأي وافساح المجال للنقد والجدل والنقاش ، واعتبار أن لا شيء مهما يكن محرما على العقل . بمثل هذه الصعوبات نقف نحن الأدباء العرب في العالم الحديث . وهي صعوبات لا يحسدنا عليها أحد ، لكننا سنقهرها مع الأيام . فلنا من مآثرنا في التاريخ الانساني ما يشدد عزمنا ويجدد فينا الايمان بقدرة الأجيال العربية الصاعدة على أداء قسطها نحو أدبها ونحو أدب الانسان . »

والذي يقرأ ما يقوله يوسف الخال يتصور قيودا وهمية تكبل الأديب العربي وتعوق حريته ، في الوقت الذي يمارس فيه كل الأدباء على اختلاف اتجاهاتهم كل الحرية في الدوريات المتخصصة العديدة ، وفي الوقت الذي يعبر فيه يوسف الخال نفسه عن آرائه الهدامة في المجلات التي يشرف عليها ببيروت دون رقيب أو حسيب ، وفي الوقت الذي يهدم فيه كل المقومات العربية من لغة ودين وتراث وقومية في المنظمات والمؤتمرات الدولية ، بينما يعوقه أو يحركه حزم التوجيهات المسمومة التي يسير في مخططاتها .

**د. ماهر حسن فهمي**



# قصيدة النثر ليست شعرا

بقلم : عدنان الداعوق

حوت مواد العدد الثامن من مجلة «الشعر» في جملة ما حوت مقالا لكاتب لم يتفق لي ان قرات اسمه مرة بجانب بحث او قصيدة او نثر .. وكان هذا المقال الخطير بعنوان «قصيدة النثر في لبنان» .

ولم ينس قلم التحرير ان ذكر في زاوية المقال جملة تقول : «هذا المقال لا يعبر عن وجهة نظر المجلة ، وانما ننشره عملا بحرية النشر . وترحب المجلة بمختلف الردود التي تصلها .

وللاسف الشديد ان مر هذا العدد وتلته اعداد اخرى غير قليلة دون ان يلقى هذا المقال من عناية النقاد او المهتمين بالادب حتى .. فاصبح المقال – بصورة غير مباشرة – مسلما بما جاء فيه من آراء وافكار على جانب كبير من الانحراف .

ووددت لو انني استطعت ان ارد على المقال وكاتبه في العدد التالي .. لولا ان يقيني حدثني ان اكثر من رد سينشر حول هذا الموضوع بالذات .. فارجات الرد لافسح المجال لناقد كبير يفهم بالشعر – حديثه وقديمه – اكثر مما لدي من خبرة في هذا الفن الكبير .

لنضع موضوع كاتب المقال جانبا .. فعلى ما اذكر ورغم كثرة قراءاتي لم اقرا اسم «هاني مندس» مطلقا .. والاسم المحه لاول مرة في حياتي ، وان لم يخني الظن والحسبان فكاتب المقال غير هاني مندس .. وهو شخص اخر اراد ان يختفي وراء هذا الاسم متوقعا – وللاسف – مسبقا ان يلقى مقاله من الهجوم ما لايستطيع له ردا .

يفرد صاحب المقال مجالا كبيرا لتفسير كلمة التجديد في الشعر فهو يفترض قبل كل شيء ان الحركة الشعرية الناهضة تمرد على العقلية القديمة في نظم الشعر وفهمه .

وهذا امر – مع التجاوز قليلا – بدهي اذا نظرنا الى الشعر الجديد وكونه خلقا جديدا .

ويصل بعد استعراض سريع الى نقطة عامة جدا اذ يقول : «الشعر الجديد غامض ومتشائم» .

ويفسر قوله : «يعود هذا الى النقطة الاساسية الهامة – انقسام العالم – وفقدان الرؤية الواحدة .. ويستطرد :

لابد من الاعتراف بان هنالك هوة نفسية .. وجدانية وفكرية تفصل بين الشعر الحديث وقارئه ، الشعر الحديث في الاعم الغالب يكاد يكون غريبا وشاذا عنه ، وذلك يرجع الى القارىء اصلا » .

من الغريب حقا ان كاتب المقال يطلب لفهم الشعر الحديث انسانا حديثا ، هذا الانسان الذي يعيش بلا انقسامات للعالم الواحد .. ومبصر للرؤية الواحدة ؟

ان كل النظريات الفنية في العالم وضعت – في الاصل – لتعطي تجارب جديدة على ضوء النور الذي يربط بين ماكان وما يتوقع ويؤمل ان يكون .

اما صاحب المقال فيرى العكس تماما .. انه في رايه يريد قارئا جديدا لكي يفهم الشعر الجديد .. وهذا ما يثير – بصورة غير مباشرة – اصحاب مدرسة الشعر الجديد اذ انهم يعتقدون غير ذلك .. فالشعر الجديد بنظرهم هو المصباح المضيء لطريق الانسان لكي يبصر الموروث من قديم الشعر وليدرك معالم الوجود بالمنطق الذي يفرضه عالم اليوم .

اما كاتب المقال فيقول :

«الشعر الحديث في الغالب يكاد يكون شاذا عن القارىء الذي استساغ السهولة واعتاد الاستمتاع والترنح على ايقاع القافية ، القارىء الذي عاش قرونا طويلة تحت نير الاستعباد والانغلاق والتحجر» .

فعلى ما يبدو ان كاتب المقال يفترض ان عالم الشاعر غير عالم القارىء» ، وبصرف النظر عن ان الشاعر هو قارىء في الاصل .. فعالم الاثنين واحد والبيئة واحدة ، اما – الانغلاق الاستبطاني – بالاذن من صديقنا الاستاذ يوسف السباعي صاحب هذه الكلمة .. فهو عالم ما اظن ان الشاعر الحديث يرغب الدخول فيه .

وبالتالي المشكلة – في راي صاحب المقال ما تزال قائمة – اذ لا وجود لقارىء لم يعش زمن الاستعباد والانطلاق والتحجر !

***

يطلق صاحب المقال السيد هاني مندس على ذلك الكلام المرصوف والمرصوص والذي تتخلله النقاط والفواصل بلا عدد ولا حساب اسم قصيدة النثر . ويعطي مثالا على ذلك ، ومن اشتهر به اولا (محمد الماغوط) .. وهذا يعتبر الرائد الاول للشعر المنثور في الوطن العربي .

فمحمد الماغوط يعرف الكتابة . وكتابته لم تكن في يوم من الايام شعرا .. فهل نقبل ويقبل نقادنا ان نسمي كلامه شعرا ؟

اليكم المثل ، من آخر – قصيدة – نثرية قراتها له :

العنوان : وجه بين حذاءين ..

القلوب الوحيدة تقذف من النوافذ

النهود المهجورة تقذف من الحافلات

والطاولة الارملة

تمد راسها من النافذة وتبكي

***

كلمات ارددها كالمجنون

في المقاهي والحوانيت

تحت النجوم وتحت بصاق الملايين

دون ان يفهمني احد

لا طفل ولا طائر

لا وحش ولا انسان ٠

من الصباح الى المساء وذقني ترتجف

وانا اغني :

لقد ضاع زمان النبوغ والانزلاق على السلالم الطويلة

القمل على الازهار

القمل على حطام الطائرات

الخ ٠٠

والقصيدة طويلة ٠

ففي راي كاتب المقال ان الشعر المنثور يجب ان يفرض على الشعر الحديث ايضا ليحتل المكانة الرفيعة في شعرنا العربي الأصيل والصدارة في أدبنا الحضاري الحديث ٠

ويعزز رايه بالقول : « ان قصيدة النثر خطرة لانها حرة » ٠

فالسيد هاني مندس ارتكب خطأ فادحا من حيث لا يدري :

ففي فلسفة للشاعر «ادونيس» وهو اول من اطلق على الشعر المنثور اسم «قصيدة النثر» اختلاف كبير لما يدعيه ٠ اذ يقول «ادونيس» :

«قصيدة النثر شاملة ، متمركزة ، كثيفة ذات اطار ، هي عالم محدود ، مقفل على نفسه ، كاف بنفسه ، الخ ٠٠

فاين هي الحرية في القصيدة النثرية عندما تكون : ذات اطار وهي عالم مغلق ، مقفل على نفسه ٠

ام ان المقصود بالحرية هنا ان يقول المرء كلاما كيفما اتفق ليسمى بعد ذلك شعرا او قصيدة نثرية ؟

ان السيد هاني مندس ينتمي الى فئة همها الأوحد ان تحطم قدسية اللغة العربية ٠٠ وهي نفس الجماعة التي نادت بكتابة اللغة العربية باللاتينية ٠

وليس ادعى الى الحيرة والذهول من تضارب آراء هذه الفئة المغالية عندما تحاول ان تبرر سلوكها بقولها :

« الف عام ونحن عبيد ، جهلاء ، وسطحيون ٠ لكي يتم لنا الخلاص علينا ، يا للواجب السكر ٠٠ ان نقف امام هذا السد ونبعجه ٠ اننا امام هذه المحاولة الشعرية الطرية احد امكانين ، اما الاختناق او الجنون» ٠

وكلا الامرين وخيم العاقبة والمنتهى ٠٠ وهذا مالا ترضاه انسانية ولا تؤيده ثقافة منفتحة ولغة اصيلة عميقة الجذور ٠

فالشعر المنثور هو كلام غالبا ما يكون ـ فارغا ـ لا قواعد له ولا اصول ٠ مجرد كلام مرصوف يخلو من اي وزن او تركيب شعري متعارف عليه منتميا الى مدرسة او اخرى ٠٠ وهي بدعة ـ اي قصيدة النثر هذه ـ روجت لها جماعة عرفت بميول منحرفة وافكار شاذة ٠٠ وليست المعركة المزعومة التي تفتعلها لاثبات اقدام ـ قصيدة النثر ، وهي كسيحة مقعدة ، سوى النفخ في بوق لا يسمع حتى صاحبه ٠٠ ولن يصل صداه الى اي مدى ٠

ويريد كاتب المقال بشكل او باخر ان يدخل المعركة بين الشعر الحديث والقديم ضمن معمعة هذه المعركة المزعومة ٠

فالمعركة التي قامت بين الشعر الحديث والقديم ، قامت على اصول نقدية ونظريات مدروسة ٠

ووضعت المقارنة الشعرية اساسا لمنطق هذه المعركة ٠٠ بين التأييد والرفض ، وبين التجديد والمحافظة ٠ اما ان تقوم معركة مفتعلة تلزم الشعر بهذا الوليد المسخ وهو «الشعر المنثور» لم تلحقه بالركب الحضاري الانساني ، فليست الا بدعة جديدة تتبناها فئة من المتطرفين المنحرفين انحرافا يدعو الى الغرابة والاستهجان ٠

فلماذا يسمى النثر شعرا وهو ليس بشعر ولا يمت الى اصوله وقواعده بصلة ؟

ولماذا لا يسمى النثر نثرا ؟ وهل اذا سميت هذه البدع المشوهة شعرا تنفى عنها صفة التعقيد أولا وصفة اللامعنى ثانيا ٠

انه ليس بمستحسن ولا بمستساغ ان يمسخ النثر ذاته مسخا مشوها ، وتطمس معالم وضوحه وتعمل فيه يد التعقيد ، فيلون بالوان الذهول والجنون والرمز والقلق والضياع ، ويسمى بعدها شعرا ٠

وغريب كل الغرابة ان يلحق التمزق الفكري الذي اصبح ـ موضة ـ العالم المنحرف تمزق عضوي يشوه التركيب النثري ويبعثر معانيه وافكاره ليسمى شعرا ٠

حتى ان الشعر نفسه الذي تشوبه تلك الافكار النازعة الى اليأس والقنوط والتشاؤم المفرط اصبح ينظر اليه نظرة خالية من كل معاني التقدير والاحترام والاستحسان ٠

عدنان الداعوق

الدكتور طه حسين يتحدث :

# عن بعض القضايا الأدبية الهامة

بقلم : محمد الدسوقي

١ ـ تحدث أستاذنا الكبير عميد الادب العربي الدكتور طه حسين حديثا موجزا مركزا عن بعض القضايا الادبية المعاصرة ، وقد سجل هذا الحديث للاذاعة التونسية ، فقد سعى مندوبهـا الى لقـاء الكاتب الكبير ، ورائد الحركة الفكرية العربيـة الحديثة لهذا الغرض وأسـعدتني الظروف ، فحضرت هذا اللقاء ، وسمعت ذلك الحديث ، وقد استأذنت أستاذنا في نشره بالرسالة فتفضـل ـ مشكورا ـ وأذن لي .

٢ ـ والقضايا الادبية التي تحدث عنهـا عميد الادب العربي هي :

ا ـ الشعر الحديث .

ب ـ أدب الشباب وعلاقته بأدب الشيوخ .

جـ ـ الالتزام في الادب .

د ـ الثورات وموقف الادب منها .

هـ ـ القصة المصرية وعلاقتها بالقصة الاجنبية .

و ـ أدب المرأة المصرية المعاصرة .

٣ ـ أما الشعر الحديث ، فقد اشتجرت حوله الاقلام وتباينت الآراء ، وأثيرت أخيرا مناقشـات وخصومات وصل أمرها الى السلطات .

عن هذه القضية الهامة في حياتنا الادبيـة الراهنة تحدث الدكتور طه حسين فقال :

ان الشاعر حر في التعبير كما يشاء بشرط أن يقدم لنا عملا فنيا ممتازا يثير فينـا المتعة واللذة ، ويستحوذ على مشاعرنا واحساساتنا ، أن يقـدم لنا شعرا جديرا بهذا الاسم ، نقرؤه أو نسـمعه فتستريح اليه طباعنا وأذواقنا ولا تضـيق به نفوسنا كما تضيق بكثير من الشعر الردىء .

واذا نظرنا في تاريخ شعرنا العربي ، فاننا نراه قد تعرض لالوان مختلفة من التجديد في ألفـاظه ومعانيه ، ففي العصر الاسلامي أيام بني أميـة جددت في الشعر أشياء كثـيرة ، فخففت الاوزان القديمة ، وعمد الشعراء الى أوزان قصيرة ، متأثرين بالموسيقى التي اخـذها العرب عن غيرهم من الامم ، ونشأت فنون لم تكن مألوفة عند الجاهليين كالغزل الخالص الذي يقصر الشعراء أنفسهم عليه كما فعل العذريون الذين لم يقولوا الشعر الا في الحب وفنونه المختلفة ، وكعمر بن ابي ربيعـة القرشي الذي لم يكن عذريا ولكنه لم يقل الا الغزل، وكثرت ألوان الهجاء ، ونشأت فيه فنون لم يعرفها الجاهليون ، كالهجاء الغزلي الذي برع فيـه بعض الشعراء يريدون هجـاء الرجال فيتغزلون في نسائهم ليغيظوا بذلك أزواجهن ، ووصـفت الخمر في العصور الاسلامية كما لم توصـف قط في الشعر الجاهلي ، ونشأ الغزل في الغلمان وهو فن لم يخطر للجاهليين على بال ، واستطاع شاعر كأبي نواس أن يعيب وقوف الجـاهليين على الاطلال في كثير من شعره كما يقول في قصيدة :

عاج الشقي على ربع يسـائله
وعجت أسأل عن خمارة البلد
يبكي على طلل الماضين من أسـد
لادر درك قل لي من بنو أسـد ؟

وكثر البديع وعنى الشعراء بتحسين الالفاظ بالاستعارات والجناس والمطابقات ، وجاء أبوتمام فكرهه العلماء اللغويون ، لانه انحرف عن طريقة القدماء كل الانحراف فعلا في تجديد الالفـاظ والمعاني حتى سمع بعض علماء اللغة شـيئا من شعره فاستحسنه فلما قال له قائل : ان هـذا الشعر لابي تمام قال له : خرق خرق ، ثم جـاء شعراء الاندلس فانشأوا الموشحات وغلوا فيها ، فانحرفوا أحيانا عن الوزن المألوف وانحرفوا دائما عن التزام قافية واحدة .

وفي العصر الحديث ظهر الشعر التمثيلي وهو نوع جديد لم يعرفه الادب العربي الا في هذا العصر .

حدث هذا في الشعر العربي في تاريخه الطويل، فليس على الشعراء المحدثين اذن من بأس اذا هـم

جددوا وخرجوا على مألوف الشعراء المقلدين من التزام الوزن والقافية جميعا ·

ولكن الشعراء المحدثين الذين يدعون الى التجديد فى الشكل والمضمون ـ كما يحب كتابنا المحدثون أن يقولوا ـ لم يقدموا لنا حتى الآن ـ بوجه عام ـ أعمالا فنية جديرة باسم الشعر ، ولعلهم فى المستقبل يفعلون ·

٤ ـ وعن أدب الشباب وعلاقته بأدب الشيوخ قال أستاذنا الكبير :

ان أدب الشباب أدب ضحل لاعمق فيه ، فالشباب لايقرأ الادب العربى القديم ، ومن يعرف منهم لغة أجنبية يمكنه أن يقرأ آداب لغات أجنبية مختلفة ولكنه لايقرأ ، وبغير قراءة الادب القديم لن ينتج الشباب أدبا يستحق الخلود ،ويكون امتدادا لادب الشيوخ ، وقد ظهرت فى فرنسا جماعة ، تدعوا الى الكتابة الادبية دون اكتراث بالقراءة الجادة ، لكنها فشلت فى دعوتها ، وتراجعت عن المضى فى طريقها فلكى يكتب الشباب أدبا أصيلا ، أدبا جديرا بالبقاء ، يجب عليه اذن أن يقرأ كثيرا فى القديم والحديث ، وألا تشغله المدنية الحديثة · بمخترعاتها مثل « السينما » و « الراديو » و « التليفزيون » عن القراءة الواعية المتعمقة ، وارجو أن يقبل الشباب على تراثنا القديم والحديث ، وأن يقبل كذلك على تراث الآداب الاجنبية ، حتى تعمق ثقافته ، وتستقيم لغته ، وتتسع آفاقه ، ويصبح بذلك أهلا لانتاج أدب أصيل جدير بالبقاء ، أدب يخلف أدب الشيوخ ، ولا يعرف الضحالة ، أو ركاكة العبارة وسوقيتها ·

٥ ـ وسئل الدكتور طه حسين عن الالتزام فى الادب فقال :

ان كل أديب ملتزم بما يعتقد ، فالأديب يقول ما يؤمن به ، واذا أكره على أن يكتب شيئا لايؤمن به ، فلن يكون لما يكتبه تأثير فى النفس والوجدان، أو يكون عملا أدبيا لاتشيع فيه حرارة الصدق ، أو اصالة الخلق ، أو يكون شبيها بجسم لاحياة فيه · فاذا آمن الاديب بالاشتراكية والديمقراطية مثلا كان ما يقوله ويكتبه عن الاشتراكية والديمقراطية تعبيرا صادقا لازيف فيه ، فحيث يؤمن الاديب بفكرة أو مذهب ما فانه يصبح ملتزما فى أدبه بتلك الفكرة ، أو هذا المذهب ·

٦ ـ وعن موقف الادب من الثورات قال عميد الادب العربى ·

ان الادب يمهد للثورة دائما ، لأنه يجسم الاوضاع الفاسدة ويدعو الى الحياة الكريمة ، وينادى بالنظم والمبادىء العادلة ، فيكون ذلك التجسيم ، وهذا النداء الى اصطناع القيم الانسانية ، ونبذ القوانين الجائرة وقودا يشعل الحماس ضد الظلم ، ويفجر فى المجتمع طاقات الثورة من أجل حياة أفضل ، ويهيىء الاذهان والحواس الى تقبل الانتفاضة التى تطيح بالقاسطين والمفسدين ، وترسم السبيل الى مستقبل مشرق بالعدالة والمساواة والرخاء ·

فمثلا قبل ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ كان المجتمع المصرى يعانى من فساد القصر واضطراب الحياة السياسية والاقتصادية ، وتحكم الاقطاع فضلا عن الاحتلال الذى كان يفرض على القصر ورجال السياسة مطالبه ، ويتدخل فى شئون البلاد الداخلية والخارجية بمقدار ما يستفيد من هذا التدخل ، فكان الادب فى فترة ما قبل الثورة يصور حياة البؤساء والمحرومين ، ويتحدث عن ترف الاغنياء واسراف المسرفين ويندد بالدخلاء والعملاء والمستبدين ، وكان مع هذا يدعو الى الاستقلال والحرية ، والعدالة الاجتماعية ، وضمان قدر لائق من المعيشة لكل فرد ، وألا تستأثر بخيرات الوطن فئة معينة تعيش فى رغد مسرف على حين تموت فئات متعددة من الارهاب والجوع والحرمان ·

وكان الادب أيضا مع حديثه عن الاوضاع الفاسدة ، ودعوته الى العدالة الاجتماعية ، يشيد بالأمم التى عز شأنها وقوى سلطانها فلم تخضع لاجنبى ، ولم ترضخ لمستبد ، ولم تقبل أن تعبث بثرواتها أسرة حاكمة ، أو اقطاعيون مستبدون ، ولذلك تمتع أفرادها بالحرية والعدالة والمساواة ، ولم يكن بينها فوارق كتلك التى كان يئن منها المجتمع المصرى قبل الثورة ·

فعل الادب كل هذا وأكثر منه قبل الثورة ، وكان الشباب يقرأ هذا الادب وينفعل به ، وكان هذا الانفعال يبدو فى بعض الاوقات فى صورة اضرابات ومظاهرات ، وكانت هذه المظاهرات والاضرابات ارهاصا أو مقدمة للثورة التى قامت تضع حدا للعبث والاضطراب ، وتخلص الامة من الاحتلال والاستغلال ··

وفى فرنسا قبل ثورتها الشهيرة كان الادب

كذلك يتحدث عن المظالم التي يتعرض لها الشعب الفرنسي ، فقد كان هذا الشعب يئن من وطأة الاقطاع والضرائب ، وفساد الملكية والسلطة الدينية ، وامتيازات النبلاء ، كان الشعب يعيش في بقايا العصور الوسطى ، تلك العصور المتخلفة في تاريخ البشرية ، وكان الادب يصور فساد هذا المجتمع ، ويتحدث عن حياة البؤساء والمحرومين ، ويسخر من امتيازات النبلاء ورجال الدين ، ويرسم للمجتمع طريق الخلاص والانقاذ والعدالة. لقد كانت صيحات الادباء وآراء المصلحين من أمثال « جان جاك روسو » و « فولتير » و « ديدرو » و « دالمبير » و « مونتسكيو » الشرارة التي أشعلت الثورة ، وقضت على الملكية ، وحطمت الباستيل رمز التخلف والاستبداد والفساد .

ان الادب يمهد للثورة ويصنعها ، انه الناقوس الذي ينبه الى الخطر ، فتهب الامة ثائرة حفاظا على كرامتها وكيانها .

لكن بعد أن تقوم الثورة يلاحظ أن الادب يتريث قليلا ، ويبدو كأنه في موقف سلبي ، أو متعزل عن الثورة - وهو ليس كذلك - ريثما تستقر الامور ، ثم يقوم بدوره في تسجيل آثار الثورة ، وتصوير المجتمع الجديد بعد ذلك .

٧ - وسئل الدكتور طه حسين عن القصة المصرية وعلاقتها بالقصة الاجنبية فقال :

ان القصة المصرية كانت في أول مراحلها اما تقليدا للادب العربي القديم ، أو الادب الاجنبي ، ومن يقرأ كتاب « حديث عيسى بن هشام » لمحمد المويلحي ، وهو كتاب يصور حياة المجتمع المصري وطبقاته المختلفة في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن في صورة قصة لاتلتزم فيها الاصول الفنية للقصة بمفهومها الحديث - من يقرأ هذا الكتاب يجد أن المؤلف يكثر من السجع والازدواج والمطابقة وغير ذلك من الفنون البلاغية التي كان الاقدمون يسرفون في استعمالها في بعض العصور، ويجد ان المؤلف يستطرد أحيانا فيأتي ببعض الابيات الشعرية لأدنى مناسبة .

فمثل هذا اللون من القصة كان تقليدا للادب العربي القديم .

وكما قلد الادب العربي في كتابة القصة في أول مراحلها ، قلد الادب الاجنبي أيضا ، فقد كان الكتاب في انشائهم القصصي يقلدون هذا الادب ، ويحاولون أن ينسجوا على منوال القصة الاجنبية . ولكن القصة المصرية تطورت بعد ذلك تطورا ملحوظا ، وأصبحت مصرية صميمة ، وتخلصت من تقليدها للادب العربي القديم والادب الاجنبي على السواء ، وأخذت تصور المجتمع المصري ، وتعكس تقاليده وبيئته ، وتتحدث عن مشكلاته النفسية والاجتماعية ، وتسجل أحداثه التاريخية والسياسية ، ومن الناحية الفنية وصلت القصة المصرية الى درجة عالية من القوة والاصالة ، ومن يقرأ مؤلفات الاساتذة محمود تيمور ، ويوسف السباعي ، ونجيب محفوظ ، ويوسف ادريس فانه يجد أن هذه المؤلفات خليقة بالتقدير والثناء ، وأنها تتميز بالاصالة والصدق الفني ، وتعبر عن المجتمع المصري أصدق تعبير ، وان كنت آخذ على الدكتور يوسف ادريس استعماله اللغة العامية في كثير من الاحيان .

٨ - أما أدب المرأة المصرية فقد تحدث عنه الدكتور طه حسين قائلا :

ان أدب المرأة المصرية أدب قليل ، وهو على قلته ليس كله في درجة جيدة فمثلا الدكتورة سهير القلماوي وهي أستاذة ورئيسة لقسم اللغة العربية بجامعة القاهرة ليس لها الا كتاب « أحاديث جدتي» وبعض الدراسات النقدية والاعمال القصصية ، كما أنها ترجمت من الانجليزية الى العربية بعض آثار شكسبير ويبدو أن نشاطها الاجتماعي قد طغى على نشاطها الادبي ، فهي عضو في لجان كثيرة : في المحافظة ومجلس المدينة ووزارة الشئون الاجتماعية أما الدكتورة عائشة عبد الرحمن وهي أستاذة بجامعة عين شمس ، فلها محاولات في الدراسات القرآنية ، ومؤلفات تاريخية عن أم الرسول صلى الله عليه وسلم وأزواجه وبناته ، ولها كتب محققة ، وكتاب يشتمل على صور من حياة المرأة ، ودراسة عن الفلاح المصري ومشكلاته .

وهناك غير الدكتورة سهير والدكتورة عائشة كاتبات يمارسن كتابة القصص والدراسات الادبية وقرض الشعر ، ومع هذا كله فادب المرأة المصرية المعاصرة أدب قليل ، وليس كله أدبا جيدا جديرا بالبقاء .

٩ - وبعد ، فهذا عرض للحديث القيم الذي تحدث به عميد الادب العربي حول بعض قضايانا الادبية المعاصرة ، حاولت فيه نقل الفكرة كاملة مع المحافظة على النص في بعض الاحيان ، وأرجو أن أكون قد وفقت في هذا .

حفظ الله الكاتب الكبير ، وأسبغ عليه نعمة العافية .

« محمد الدسوقي »

# حذار من الحب

للشاعر : على الجندى

هو الحب – عوفيت من دائه – ... يموت به الصب أو يسقم
يسوق اخا الحمق سوق الفراش ... الى ناره حظه الأشأم
فكم ذل قوم به ، أو شقوا ... وكم صم قوم به ، أو عموا
هو الشهد فى بدئه لذة ... وبالسم آخره يختم
خمائله نزهة للعيون ... وفى زهرها تكمن الأرقم
وافراحه بهجة للقلوب ... ويأتى عل اثرها المأتم
وايامه كالربيع النضير ... وسرعان ما ينقضى الموسم
وليلاته قمر اضحيان ... ولكن اصباحها معتم
ومن عجب أنه شائق ... عليه قلوب الورى حوم
يهيم الصغير به والكبير ... وتهفو له البكر والأيم

***

ويستعذبون عذاباته ... كأن عذاباته أنعم
ويستمرءون مراراته ... كأن مرارته « زمزم »
حذارك منه حذار المنون ... فان الهوى للردى سلم
وفى « قيس ليلى » أجل العظات ... لغر على هوله يقدم
ولا تغترر بوميض الثغور ... فما كل بارقة تسجم
ولا تخدعنك العيون المراض ... فان لواحظها أسهم
اذا ما رمت مهج الدارعين ... فما من رمى لها يسلم
وأهدابها شرك قانص ... يخاف فجاءاته الضيغم
فيا للضعائف يلقى الكمى ... بها الحتف والفارس المعلم

***

نصحتك فى الحب نصح الشفيق ... وفوق العليم به الأعلم
وانى فى صبوتى « عروة » ... وانى فى حكمتى « أكثم »
حملت تكاليفه يافعا ... وحمل تكاليفه مغرم
وضاق على عنقى غله ... وعض على ساقى الأدهم
واسقيت ما وسعت كأسه ... وفى كأسه الصاب والعلقم
ولم الق فى محنتى عاصما ... أفىء اليه ! ومن يعصم ؟ !
وما نلت منه سوى أنه ... هو النافث السحر ، والملهم
وهل نافعى أن يغنى القريض ... لمن لا يرق ولا يرحم
فياليت حبى كان الفصيح ... وان لسانى هو الأعجم
ويا ليت حظى كان الغنى ... وأن بيانى هو المعدم

# أصداء

للشاعر : كمال نشأت

تواكبت لهفـات لغـابر الأيـام
فنوحت ذكريـات ذبيحـة الأنغـام
مشبوبة التحنـان
والراقص المذبوح في رقصة العـدم
يهفو وليس يبوح من حـرقة الألم
والنصـل يرديـه
كالأفق الغيمـان لا يطلع الصبحـا
كالخافق الأسوان اخفى به جرحـا
سـران مـا عـرفا
ولت من نفسـه في المغرب البـاكى
والذكر من امسـه كاللهب الـذاكى
نـارا واضـواء
يحيـا بها كرمـاد يقتـات من ذاته
والألم الوقـاد ينزو بانـاته
مجـرج الأصداء
يا مرعش الأسـرار في مهجـة المـاضي
هيجت بى التـذكار شردت اغمـاضى
في ظلمـة السـهد
وكـوكبى الفضى يزهـو باشـعاع
كالنغـم البفى يهفـو باسـماع
حلمـا وآمـالا
يا من ينـادينى من ظلمـة الأعماق
مـا كـان يحيينى الا جـوى الأشـواق
ودفء ماضـينـا
القـادم المجهـول من عمـرنا المنسى
الأمس منـه طلول والغـد كالأمس
جـدب على جـدب
فادفن صدى الأيام في لحـدها الثلجى
واجعل من الأحـلام رغـوا على المـوج
واتبع خطى النسيان !

من تاريخنا العربي

# وحدة وسطوة

بقلم : محمود الشرقاوي

رأينا في فصول سابقة كيف كانت مصر وسوريا «بلدا واحدا» في أكثر أزمنتهما التاريخية ، من عهد الفراعنة الى الفتح الاسلامي الى عهود الدولة الأموية والعباسية ، الى أن انتهينا الى الوحدة الكبرى التي حققها البطل صلاح الدين : ( أعداد الرسالة ٤٠ ، ٤٤ ، ٥٦ ، ٦٥ ) .

رأينا كيف كانت مصر وسوريا في عهودهما تلك كلها يشملهما ( وطن واحد ) وتجمعهما وحدة كاملة شاملة سياسية وعسكرية وثقافية ، غير فترات قليلة كانت للفرقة فيها أسباب من المروق والأنانية والخيانة . وفي هذه الفترات الشاذة نفسها كانت الوحدة الثقافية شاملة موصولة .

كان أبناء صلاح الدين واخوته يتولون ، باسمه ، حكم هذه البلاد الموحدة ، التي أدخل في وحدتها بعد ذلك أقطارا أخرى فكانت تشمل: مصر وسوريا واليمن وبعض بلاد العراق والحجاز .

ولو أن أبناء صلاح الدين واخوته هؤلاء كانوا كما كان ، اخلاصا لفكرة الوحدة وشجاعة في سبيل الحرص عليها وتجردا من الأنانية ، ولو أنهم ساروا على نهجه وسننه في السياسة والحروب لبقيت مصر وسوريا دولة واحدة قوية مرهوبة في الشرق والغرب ، كما عهدناها وهي في عهده ، تقهر الصليبيين وتجليهم عن أرض سوريا وشواطىء مصر وتطهر منهم بلادا كانوا فتحوها وملكوها سنين طويلة تقارب المائة ، واقاموا فيها ممالك صليبية .

ولكن هؤلاء الأبناء والاخوة من أسرة صلاح الدين تخاصموا واختلفوا وحارب بعضهم بعضا على الملك فضعفوا جميعا وأضعفوا الدولة وفرقوا الكلمة وجعلوا من الوحدة أشتاتا وشيعا .

ولكن الوحدة الفكرية والثقافية ، ومن قبلهما وحدة الدين ، ظلت باقية نامية وثيقة موصولة :

ظهر في هذه الفترة أولئك العشرات من العلماء والمحدثين والشعراء والمؤرخين في كل من مصر وسوريا . في هذه الفترة كان طلاب العلم وأساتذته يتنقلون بين حلب ودمشق والحجاز والقدس والقاهرة وبغداد ودمياط والاسكندرية ، وقل من هؤلاء العشرات من العلماء والألوف من الطلاب من كان سوريا لم يزر مصر والقاهرة ، أو مصريا لم يزر دمشق وحلب ، أو لم يسمع ويرو عمن زار هذه الحواضر والمدن .

في هذه الفترة ظهر من المؤرخين ، ابن العديم الحلبي ، وابن القفطي المصري ، وسبط ابن الجوزي ، وابن أبي أصيبعة المؤرخ الطبيب ، وابن القلانسي المحدث المؤرخ ، وغيرهم . ومن المحدثين والفقهاء : الامام النووي ، واحمد بن اسحق الأبرقوهي ، وشمس الدين البروجردي ، وابن دانيال ، والامام المجدد ابن تيمية ، التي كانت صيحاته الاصلاحية والدينية من أقوى المؤثرات في كل من مصر وسوريا ، وظهر من هؤلاء المحدثين والفقهاء : سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، الذي كان مثلا في العزة والشجاعة والشمم ، وعبد العزيز ابن الرفاء الدمشقي ، وابن الجوزي المصري وغيرهم . ومن الأدباء والشعراء : ابن مكانس ، وابن حجة الحموي ، وابن فضل الله العمري ، وابن الوردي ، والقاضي الفاضل صاحب صلاح الدين وكاتبه ، وابن الشحنة ، وبدر الدين العيني ، والصلاح الصفدي ، وابن عربشاه ، والذهبي ، وابن كثير الدمشقي ، وغيرهم . وبعض هؤلاء كان يلي الوظيفة والقضاء في مصر ، ثم يتولى مثلها في الشام ، وكذلك العكس . وقل منهم من كان سوريا لم يزر مصر ، أو مصريا لم يزر سوريا ، ومنهم من تلقى العلم في شيراز وواسط والموصل ودمشق والقدس والقاهرة ، وقل من هؤلاء من لم يقصده تلاميذه حيث كان في هذه الرقعة الواسعة المباركة من شرقنا العربي . ومنهم من ولد في مصر ورحل الى واسط وبغداد ودمشق ، والقدس فاقام

فيها عالما متعلما هاديا مرشدا ، ثم عاد الى مصر فاقام فيها ، ثم رحل الى مكة ليموت فيها .

بقيت للبلدين – في هذه البلبلة السياسية والمنازعات والخصومات والحروب – روابط اللغة والدين والثقافة ، يحفظ أهلوهما القرآن ويكتبون ويتدارسون حديث الرسول والفية ابن مالك وفقه الشافعي ومالك وابن حنبل ، ويتداولون ويروون شعر المتنبي والبحتري والمعري وابى فراس الحمداني ، ويعرف أهل مصر في شعرهم جسر الرصافة وأمجاد حلب وتأملات شيخ المعرة وطوب مسجد الامويين في دمشق ، وصخرة القبة في القدس . ويرحل الرجال من سوريا الى مصر فيطلبون العلم في الأزهر ويشربون من ماء النيل ويعشقون قاهرة المعز ورسوم الخلافة الفاطمية وامجادها .

ويهبط ابن بطوطة من طنجة في الشمال الافريقي فيزور مصر ويطوف بها ثم يصعد الى سوريا فيتحدث الى أهلها بما رأى في القاهرة والريف والثغور من المساجد والعمائر والناس . ويخرج ابن جبير من الاندلس – وقد اوشكت شمسها أن تغيب – فيزور مصر وسوريا ويحدث أهل كل منهما عن شقيقه ورفيقه ، ويروى لأهل مصر كيف يعيش أخوتهم في الشام تحت حكم الصليبيين .

ويظهر في هذه الفترة من العصور الوسطى سلاطين من المماليك يجددون – على عجمتهم وظلمهم وجهلهم – عهد صلاح الدين ، فيقيمون الوحدة ويدفعون ، بسيوفهم وشجاعتهم واخلاص شعبي مصر وسوريا ، طوفان الشر والبغي والتخريب الذى جاء به التتار من الشرق البعيد فدمروا من قبل مجد الاسلام والدولة في بغداد . ويستخلصون حصون الشام وبلادا فيها كان الصليبيون قد احتلوها واقاموا فيها ممالك لهم وحصونا .

يظهر ذلك المملوك الذى أصبح سلطانا على مصر ، بل من أعظم سلاطينها وملوكها ، حتى تغنى أهل مصر بسيرته ووضعوا القصص للسمر في ذكره : « **بيبرس** » .

في هذه الفترة الحالكة من تاريخ مصر والشام والشرق كله ، كان المغول يوالون هجماتهم المخربة على الشرق ، ويرسل أميرهم وقائدهم «هولاكو» الى مصر يطلب اذعانها وتسليمها . وجمع « قطز » الأمراء والمماليك والقواد ليتدبر معهم الأمر ويتدارك الخطر الماحق ، وانتهى الرأى الى تسيير جيش من مصر الى الشام يقوده « الأمير ركن الدين بيبرس » ، وسار الجيش الى غزة فأجلى عنها رجس المغول ، واستبشر السلطان بهذا النصر فخرج بجيش آخر الى الشام وجعل « بيبرس » أميرا على الجيش كله ووكل اليه ملاقاة المغول واجلاءهم عن الشام كله . وكانت الواقعة الفاصلة عند بيسان في مكان سجل التاريخ اسمه وخلد ذكره : « عين جالوت » ( في الخامس والعشرين من رمضان سنة ٦٥٨هـ – ١٢٦٠ م – ) واختلط على أرض هذه البقعة من الشام الدم المصرى والسورى مطهرا ارض الوطن كله بعد ذلك من كل أثر للهزيمة والمهانة والذل ، مؤكدا بينهما الوحدة التى لا تنفصم .

وجلا المغول عن عروس الشام : « دمشق » بعد هزيمتهم عند بيسان ، وتدفقت جيوش الصليبيين تريد أن تنجد فلولهم وترسخ أقدامهم مرة أخرى حيث كانت في سواحل البلاد وممالكهم في داخلها ، ولكن الجيوش المصرية السورية الموحدة ، بقيادة « بيبرس » تستطيع أن تزحزحهم وتخرجهم من حصونهم وقلاعهم فتلقى بهم الى الموت أو الى البحر .

واستيقن القائد المظفر بيبرس من النصر فأرسل الى الأمير الصليبي « بوهمند السادس » أمير انطاكية رسالة عزاء وتهكم وتقريع ، يواسيه فيها عن فقد ملكه وملك المخربين الصليبيين في الشام ، وكانت « انطاكية » وطرابلس آخر مابقى من امارات الصليبيين وامارات بوهمند في سوريا ، فدحره بيبرس ودحرهم فيها وفرض عليهم صلح الغالب على المغلوب .

وكان المغول يريدون أن يثأروا لهزيمتهم في «عين جالوت» ، فأخذوا يغيرون على بلاد الشام في حروب متواصلة استطاع فيها جيش مصر وسوريا أن يردهم حتى يدخلهم جحورهم في آسيا الصغرى .

وبذلك طهرت بلاد الشام او كادت من شر المغول والصليبيين ، وعادت لها ولمصر **الوحدة الشاملة القوية المرهوبة ، وبلغت من القوة والمنعة الى حد أن تقرب لها اباطرة الدولة البيزنطية وعقدوا معها حلفا دفاعيا ، وتوثقت الروابط والمحالفات بينها وبين ملوك صقلية ، وأرجونة واشبيلية وغيرها .**

**وشملت الوحدة ، في ظل هذه الدولة القوية المرهوبة ، بلاد الحجاز واليمن** وساد الرخاء وزاد المال ونفقت التجارة ونعم الناس واقيمت اصلاحات كثيرة وأنشئت مدارس ، وفتح الجامع الأزهر من جديد ، بعد أن كان أغلقه صلاح الدين ، فعاد مثابة للعلماء ومنارة للعلم في هذه الدولة الموحدة ، يمكن من رباطها الثقافي بأوثق رباط .

وسجل شاعر دمشق هذا النصر على الصليبيين

فى هذا الشعر الذى يدل على مستوى ذلك العصر . ولكنه يعبر عن مشاعر الفرح التى شملت قلوب الناس جميعا :

ملك « الروم » فى الشآم جميعا
واستجد الاسلام بعد دحوضه
بالمليك المظفر الملك الأر
وع ، سيف الاسلام عند نهوضه
ملك جاءنا بعزم وحزم
فاعتززنا بسمره وبيضه
اوجب الله شكر ذاك علينا
دائما مثل واجبات لروضه

وفى هزيمة التتار هذه يقول شاعر اخر دمشقى ، هو الشيخ شهاب الدين ابو شامة ، يذكر انقاذ الشام منهم على يد مصر وجيشها وقائدها :

غلب التتار على البلاد فجاءهم
من مصر تركى يجود بنفسه
بالشام أهلكهم وبدد شملهم
ولكل شىء آفة من جنسه

وفى مطاردة بيبرس وجيشه جيوش التتار على نهر الفرات وهزيمتهم يقول كاتب الانشاء شهاب الدين أبو الثناء محمود :

سر حيث شئت ، لك المهيمن جار
واحكم فطوع مرادك الأقدار
لم يبق للدين الذى اظهرته
، ياركنه ، عند الاعادى ثار
لما تراقصت الرءوس وحركت
من مطربات قسيك الاوتار
خضت الفرات بسابح أقصى منى
هوج الصبا من نعله آثار
رشت دماؤهم الصعيد فلم يطر
منهم على الجيش السعيد غبار
شكرت مساعيك المعاقل والورى
والترب والآساد والأطيار
هذى منعت ، وهؤلاء حميتهم ،
وسقيت تلك ، وعم ذا الايسار

اما مكانة الدولة وكرامة حاكمها وهيبته وحرمته فتصورها هذه القصص ، وهى بعض ما ذكر فى ذلك :

خرج جماعة من تجار مصر من بلاد العجم قاصدين مصر ، فلما مروا – فى طريقهم الى حلب – ببعض البلاد التى تخضع لحكم التتار ، كتب حاكمها الى « أبغا » ، ملك التتار وابن هولاكو ، يخبره خبرهم ، فامره هذا بان يأسرهم ويرسلهم اليه .

وعلم الظاهر بيبرس بما وقع لهم فارسل الى ذلك الحاكم يهدده ويخوفه ، وأسرع هذا الحاكم فأبلغ نائب حلب انه يخشى سطوة بيبرس ولا يستطيع أن يغضبه ، ودفع الى ملك التتار – من ماله – ما أرضاه وترك تجار مصر .

وكان التجار يسافرون ويتوغلون فى البلاد البعيدة يحملون « توقيعات » منه بالرعاية فيلقون كل أمان فى بلاد التتار وفارس وغيرهما من البلاد التى يتاجرون ويطوفون فيها الى حيث يشاءون .

وكان قد اختار تاجرا وأعطاه مالا ليتاجر فيه فى بلاد الترك ، فلما دخلها شرهت نفسه الى المال فاخذه ورحل الى بلد فى اقصى الشرق من بلاد التتار ليقيم فيها ، وعرف بيبرس ذلك فارسل الى ملك التتار ان يعيده اليه فأعاده وارسل معه من يحرسه حتى وصل الى القاهرة .

ونحن نعرف ما وقع بينه وبين التتار من الحروب ، وهم مع ذلك – او بسبب ما لقوا منه فى هذه الحروب – يتحاشون أن يغضبوه او يخالفوه .

وكان عند رجل سورى ذهب ومصوغ كثير خاف أن ينهب فى تلك الحروب فدفنه فى قلعة وهرب باهله الى حماة . فلما هدا الحال وامن ان يعود كتب الى نائب حماة يخبره خبر ذهبه ومصوغه وسأله ان يرسل معه من يحرسه حتى يعود بماله ، على أن يدفع نصفه للدولة ، وارسل حاكم حماة نبا ذلك الى بيبرس ، فكتب هذا امرا مطلقا – وجهه لمن عساه يقف عليه – بان يحفر الرجل على خبيئته ويأخذها . وارسل الحاكم مع صاحب الذهب من يحرسه ويمكنه من اخذ ماله ، ووجد هؤلاء أنه لابد لهم ان يعبروا نهر الفرات فوقفوا ولم يسيروا مع صاحب المال ، وعبر هذا وحده وبدأ يستخرج ذهبه وماله ، ولكن الأعراب تكاثروا عليه وأرادوا ان يقتلوه ويسلبوه ماله ، فاخرج لهم توقيع بيبرس – وهو لم يوجه لهم وليسوا على ارض يحكمها – فخافوا أن يخالفوا أمره ويتعرضوا لغضبه .

ولم يعترضوا الرجل بل أعانوه حتى وجد ماله واخذه كله .

ه

هكذا كانت هيبة الدولة الموحدة : مصر وسوريا وهيبة سلطانها .

**ويزيد من عجبنا واعجابنا أن نعرف ان هذا الرجل الذى استخلص ذهبه وماله – بهيبة بيبرس – كان يهوديا ..**

**« محمود الشرقاوى »**

# في القومية العربية .. والعثمانية

بقلم : محمد جلال كشك

رضى الله عن عمر بن الخطاب وأرضاه عنا .. فى ثلاث كلمات لخص تلك القضية التى تقف الأقلام أمامها بكماء ، وتدور العقول حولها حائرة .. وتسود الصفحات فى النقاش بين الحركات والأحزاب والمنظمات بالوطن العربى .

وأعنى مشكلة العلاقة بين العروبة والاسلام - ان كان ثمة مشكلة - ولكن عمر على فراش الموت ، وطعنة المجوسى أبى لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، قد سلبت البشرية ، أعظم بنيها الا من جاءه الوحى يلخص تلك العلاقة فى ثلاث كلمات .

قال عمر « وأوصى الخليفة من بعدى بالعرب فانها مادة الاسلام » .

نعم « **العرب مادة الاسلام** » تلك هى القضية ، كما كانت واضحة لا تحتاج الى جدل ، وحسبك بأمة جعلها دينها فى أعز مكانة ، ونزل كتابه بلغتها ، فانتشرت مع انتشاره ، وسادت حيث ساد .. من المحيط الهادى الى المحيط الأطلسى .

أمة جاءتها القيادة طائعة مختارة فى الأرض التى تتقاتل عليها الأمم سعيا الى مكانة أو نفوذ .. أمة جعلها دينها قائدة الشعوب الملونة الى المساواة والحياة الانسانية ، بغير منازع .

يقول السيد أبو الحسن الندوى من علماء الهند : « ان العالم العربى قلب العالم الاسلامى النابض يتجه اليه روحيا ودينيا ويدين بحبه وولائه» «ولكن المسلم ينظر الى العالم العربى كمهد الاسلام، ومشرق نوره ومعقل الانسانية ، وموضع القيادة العالمية ، ويعتقد أن سيدنا محمدا العربى هو روح العالم العربى ، وأساسه وعنوان مجده ، وأن العالم العربى بما فيه من موارد الثروة والقوة ، جسم بلا روح ، وخط بلا وضوح اذا انفصل - لا سمح الله بذلك - عن سيدنا رسول الله وقطع صلته عن تعاليمه ودينه » .

ويعود العالم الهندى الكبير فيقول عن رجاء الاسلام من العرب « والعالم العربى يحسن الاضطلاع برسالة الاسلام ، ويستطيع أن يتقلد زعامة العالم الاسلامى ويزاحم أوروبا وينتصر عليها » .

« ولقد أكرم الله العرب - بهذه القيادة ، لما أخلصوا لهذه الدعوة الاسلامية وتفانوا فى سبيلها فأحبهم الناس فى العالم حبا لم يعرف له نظير ، وقلدوهم فى كل شىء تقليدا لم يعرف له نظير ، وخضعت للغتهم اللغات ، ولثقافتهم الثقافات ولحضاراتهم الحضارات » « وهى القيادة التى يجب أن يحرص عليها العرب أشد الحرص ، ويعضوا عليها بالنواجذ » .

ولو أنفقنا ما فى الأرض جميعا على أن نجعل عقلا ممتازا من أبرز مفكرى الهند يسلم بهذه القيادة لعروبتنا ، تسليم الراغب الراضى لما أمكننا .. ولكن الله فعل .

فما الذى جعل أمتنا .. أو بعضا من مفكريها ، يبطرون على ما أتاهم الله ، ويضيقون بمكانتهم هذه من الاسلام ، ويفرون من مركز القوة ، الى مركز

الضعف والحيرة والتخبط ٠٠ ما الذى أوقعنــا فى فى القومية العلمانية ؟ ٠٠

هناك أكثر من سبب يضيق العمر عن تقصيهـا كلها ٠٠ ولنبدأ بهذا السبب المعاصر والواضح ، الذى ما زال يترك آثاره وترسباته فى كثير من تفكيرنا ٠٠ ذلك السبب الذى أعده القدر ، وأجاد خصومنا استغلاله ، وتهويله ، والتزايد فيه حتى بلغوا غايتهم ٠

ذلك هو علاقة العرب بالعثمانية ٠٠ أو ارتباط الاسلام والجامعة الاسلامية والدعوة الى الاســلام بتطورات الدولة العثمانية ٠٠ منذ أن ظهـرت الى أن انهارت ٠٠

لماذا كان الترك قدرا محتوما على العالم الاسلامى والعربى بالذات ؟! ولماذا التوى الصراع فى سنواته الأخيرة ، فوضع القومية فى مواجهة الدين لينتهى الصراع باستبعاد الدين فى تركيا ، وتنكر الحركات القومية له فى دائرة الهلال الخصيب ٠

لنبدأ بالأتراك ٠٠

كان ظهور الاتراك وقيــام الدولة العثمانية ، ضرورة تاريخية ، حتمتها الأحداث فى هذه الرقعة من العالم ، وقبل ظهور العثمانيين ، كانت الحروب الصليبية ثم غارات التتار قد أجبرت العالم العربى على الدخول فى مرحلة الاقطاع العســكرى ٠٠ والأستاذ « ســاطع الحصرى » يقــول ان جيش الانكشارية كان أول جيش دائم فى التاريخ ، الا ان المماليك كانوا أيضا محاربين محترفين ، وهذه كانت هى صفتهم الأساسية ، التى يشترون من أجلها ، والتى يتفرغون لهــا ، بعد تخطى مرحلة الطفولة التى يستخدمون فيها فى الأغراض المنزلية وتلقين الولاء والمؤامرات والتسلية البريئة والشاذة لأستاذه ٠٠ الا أن المملــوك الأمرد سرعان ما يتحول الى قاتل محترف ، وتوكل له مهمة الدفاع عن البلد ٠

ولما قهروا الصليبيين والتتار انتقلت لهم السلطة واصبح لهم حق العيش على حساب الفلاح والتــاجر والصانع ٠٠ مقابل الحماية من الغزو ٠٠ وغزو الفرنج بالذات ٠٠ اتفاقية غير حرة ، ولا كانت ثمـرة تعاقد أو عقد ٠٠ انما هى اتفاقية طبيعية ، يمليها حب البقاء وهى اتفاقية شرسة بشعة تستطيع أن تقول فيهـا ما تشاء ٠٠ ولكنها هى أســاس العلاقة منذ قطز الاتابكى الى الأشرف الغورى ٠٠ ولقد ادى الطرفان التزاماتهما كاملة ٠٠ قهر المماليك لويس القديس ، وخلصوا الثغور من قراصنة الافرنج أكثر من مرة ، وطردوا فلول الصليبيين من الشام ، وقهروا أيضا جحافل التتار ٠٠ ودفع الفــلاح والتاجر الأرزاق والأتاوات والمكوس والنفقــة والمشــاهرة ٠٠ دفعوا الى حد الموت ٠

ومنذ النصف الثانى من القرن الخامس عشر ٠٠ اختلت الاتفاقية ، جرى على المماليك قضاء التاريخ ، فانتهوا كقوة محاربة قادرة على صد الخطر المتفاقم باخراج المسلمين من الأندلس، وظهور سفن البرتغال عند السواحل العربية ، بل مفاجأتهــا المسلمين بالظهور فى بحر الحجاز ذاته وجنوب اليمن ٠

وابن اياس المؤرخ المصرى يفسر ظهور ســفن الافرنج فى البحر الاحمر تفسيرا طريفا يكشف عن ملامح التأخر الذى بدأ يغزو العالم الاسلامى فيقول: «ولكن تزايد الضرر من الفرنج فيما بعد وترادفت مراكب الفرنج ببحر الحجاز حتى بلغوا فوق عشرين مركبا ، وصاروا يعبثون على مراكب تجار الهنــد ، ويقطعون عليهم الطريق فى الأماكن المخيفة، ويأخذون مامعهم من البضائع ، وسبب هذه الحادثة أن الفرنج تحيلوا حتى فتحوا السد الذى صنعه الاسكندر بن فلبس الرومى ، وكان هذا نقبا فى جبل بين بحـر الصين وبحر الروم ، فلا زالوا الفرنج يعبثون فى ذلك النقب مدة سنتين حتى انفتح وصارت تدخل منــه المراكب الى بحر الحجاز ، وكان هذا من اكبر اسباب الفساد » ٠

(الجزء الرابع تاريخ ســنة ٩١٢ هجرية ١٥٠٧ ميلادية) ٠

ولكن المماليك كانوا اعجز من أن يصدوا هــذا الفساد ، كانوا يخرجون الى الحرب متثاقلين ليعودوا منكسرين ، فيستنكر ابن اياس أن تعطى لهم الجامكية - أى الرواتب « وهم المماليك الأرذال الذين صار يستكثر منهم فى الديوان ، ففيهم من لايعرف يجذب القوس ، ولا يمسك الرمح وهذا أمر عجيب » بل عجز الغورى عن أن يجد شجاعا منهم يرسلــه الى ابن عثمان كسفير فقد خافوا جميعا لأن ابن عثمان « رجل جاهل سفاك للدماء ، وكل من توجه اليه بهذا الجواب قتله » ولما طلبهم طومان باى للقتــال بعـد

هزيمة الغورى ، وصرف لهم لكل مملوك ثلاثين دينارا أرموا تلك النفقة فى وجهه وقالوا ما نسافر حتى تأخذ مائة دينار .. » واشيع ان السلطان قال للعسكر « انتوا اخذتوا من السلطان الغورى مائة وثلاثين دينارا ولم تقاتلوا شيئا وكسرتوا السلطان واختيتوا به حتى قتل منكم قهرا » .

ومع فسادهم كقوة محاربة ، فسدوا كسلطة حاكمة ، وانحصرت طرقهم فى زيادة موارد الدولة فى نهب التجار ومصادرة أموال المتوفين بعد عصر الورثة فى كعوبهم وأصداغهم ، حتى ان ابن اياس يغبط الغورى على وفاة ثلاثة من الأثرياء فى سنة واحدة .. ويعدها من علامات سعد السلطان !

واشتغل السلاطين بتزييف النقود ، فاصبحت عملتهم « زغل »

وعند ما كتب « ملك الغرب صاحب الاندلس » ، مكاتبة تتضمن بأن السلطان يرسل اليه تجريده تعينه على قتال الفرنج فانهم قد اشرفوا على أخذ غرناطة ، وهو فى المحاصرة معهم » فماذا كانت نجدة السلطان الأشرف قايتباى ؟ .. العجب . !!

اقتضى رايه بأن يبعث الى القسوس الذين بالقيامة التى بالقدس ، بأن يرسلوا كتابا على يد قسيس من اعيانهم الى ملك الفرنج صاحب نابل ، بأن يكاتب صاحب قشتيلية ، بأن يحل عن أهل الأندلس ويرحل عنهم ، والا يشوش السلطان على أهل القيامة » ! وكما قال ابن اياس لم يفد ذلك شيئا واخذ الفرنج غرناطه .. بل أصبحوا مصدر ازعاج ورعب للسلطان ومماليكه ، وسفنهم تقتحم بحر الحجاز وتهدد ثغر جده .. ونظرة فى تاريخ بدائع الزهور تجد ان ابن اياس لا يكاد يسجل شهرا الا ويتضمن عبث الافرنج وظهورهم عند الثغور العربية ..

المحرم ٨٧٨ وفيه جاءت الاخبار من الاسكندرية بان الفرنج قد تعبثوا ببعض سواحلها ، واسروا من المسلمين تسعة انفار .. وفعلوا مثل ذلك فى ثغر دمياط .

رمضان ٨٨٠ وفيه جاءت الاخبار من الاسكندرية بان بعض تجار الفرنج احتال على تجار الاسكندرية حتى اسرهم ، وكان فيهم تجار السلطان وتوجهوا بهم الى بلاد الفرنج .

جمادى الاول ٨٨٤ : وانشا بهذا البرج مقعدا مطلا على البحر ينظر منه من مسيرة يوم الى مراكب الفرنج وهى داخلة المدينة .. وجعل حول هذا البرج ، مكاحل معمرة بالمدافع ليلا ونهارا ، بسبب الا تطرق الفرنج للثغر على حين غفلة .

ذو القعدة ٩١١ : وفيه سافر تغرى بردى الترجمان الى نحو بلاد الفرنج واخذ معه كتاب التبرلا ، وكان قد تزايد تعبث الفرنج بالسواحل واخذ اموال التجار .

ذو القعدة ٩١٣ : عين السلطان تجريده الى بلاد الفرنج ، وقد تزايد منهم الأذى والتعبث بالناس فى البحر الملح .

ربيع اول ٩١٥ : وفيه جاءت الاخبار بان العسكر الذى توجه الى الهند قد كسروهم الفرنج كسرة فاحشة وقتلوا العسكر عن اخره ونهبوا مافى مراكبهم اجمعين فتنكد السلطان لهذا الخبر

رجب ٩١٥ : وفيه افرد السلطان على طائفة المغاربة اثنين وثلاثين الف دينار ، وكان سبب ذلك ان تغرى بردى لما توجه الى بلاد الفرنج اشترى من ملوك الفرنج عدة اسرى من المغاربة بنحو من خمسين الف دينار .

ربيع اول ٩١٦ : وفيه كاتب السلطان جماعة من ملوك الهند بان يكونوا مع السلطان عونه على قتال الفرنج الذى صاروا يتعبثون بسواحل بلاد الهند ، وقد كثر الفساد هناك ، وبلغت عدة المراكب التى يعبثون فى السواحل نحوا من خمسين مركبا ، والامر الى الله فى ذلك .

جمادى الاول ٩١٦ : وفيه جاءت الاخبار من بلاد الغرب بان الفرنج قد ملكوا مدينة طرابلس الغرب ، وهذه المدينة من اجل مداين الغرب وهى مدينة عاصية ولولا ان الفرنج تحايلوا عليها لما قدروا على ذلك ، وقتل من المسلمين نحو من اربعين الف انسان وقد جاءوها الفرنج من البحر فى مائة مركب.. فلما بلغ السلطان ذلك تنكد للغاية وكذلك الناس قاطبة .

وفيه قبض شريف مكة على ثلاثة انفار من الفرنج دخلوا الى مكة وهم فى زى الاروام .

وفيه جاءت الاخبار بان الفرنج خرجوا على الامير محمد بيك بالقرب من ساحل قلعة اياس ، فقتل ، وقتل من كان معه من الجند واخذوا ماكان معه من المراكب المشحونة وكانت نحوا من ثمانية عشر مركبا ، فلما بلغ السلطان ذلك تنكد الى الغاية .. وامتنع عن الاكل يومين .

ذو القعدة ٩١٦ : وفيه جاءت الاخبار من بلاد الغرب بان صاحب تلمسان تحارب مع الفرنج وقتل منهم نحوا من عشرين الف انسان ، واستخلص منهم ما كان قد استولوا عليه من جهات الاندلس وغيرها ، فسروا الناس قاطبة لهذا الخبر .

محرم ٩١٧: وبلغ السلطان ان تغرى بردى كاتب ملوك الافرنج باحوال مملكة مصر وان السلطان ليس له همة الى ارسال تجريدة ، وان السواحل خالية ليس بها مانع .

ربيع الاول ٩١٩ : حضر هجان من مكة من مسافة تسعة ايام واخبر بان الفرنج قد ملكوا كمران وانهم بيحاصروا مدينة سواكن ، وان امير مكة خرج الى جدة خوفا على البندر من الفرنج ان يهجموا عليه .. فلما جاء هذا الخبر تنكد له السلطان . الى الغاية .

ولكن نكد السلطان لم يكن يجدى ٠٠ والفرنج يحيطون بالوطن العربى ويسمون اكتشاف رأس الرجاء الصالح تطويق الاسلام ٠٠ والأمة الاسلامية لم تكن بحاجة الى اضراب السلطان عن الطعام بل الى «٣٠٠٠ مركب حربى كانت تكون الاسطول العثمانى» والى أكبر قوة عسكرية عرفها العالم فى ذلك الحين وهى جيش الانكشارية ٠٠

لقد انهار المماليك كقوة عسكرية وجاء دور الاتراك ليقفوا تقاتل الممالك الاسلامية ضد بعضها ولفرض الحماية العسكرية على العالم الاسلامى والعربى بالذات أى عودة العقد القديم بين الفلاحين والتجار والصناع والجند الجدد ولكن بشروط أفظع ٠٠ ولكن لا خيار ٠٠ اما الفناء على يد الغزو الفرنجى المتعصب المتوحش واما قبول شروط الحماية من أبشع صور الاقطاع العسكرى ٠٠

**هذه هى القضية ، ولعلها تفسر السهولة التى اكتسح بها الأتراك العالم الاسلامى ، بل ان الجزائر وهى دائما فى فوهة المدفع بالنسبة للغزو الصليبى ، لم يفتحها الاتراك ، بل دخلت طواعية وباختيارها فى الدولة العثمانية يقول الاستاذ ساطع الحصرى ، واما دخول الجزائر تحت الحكم العثمانى ، فقد تم بدون حرب ، بل بمحض ارادة حاكمها ( خير الدين ) المعروف بـ (بارباروس) كان قد تكون هناك نوع من (الحكومة البحرية) تملك اسطولا قويا يشتغل بالقرصنة ، لمقابلة قراصنة اوربا ، وصار خير الدين يتغلب على أساطيل اسبانيا ، ويسيطر على غرب البحر الابيض ، ومع هذا فقد رأى ان يقدم خدماته ٠ ٠ وأساطيله الى الدولة العثمانية ، واستقبله السلطان سليمان القانونى وجعله قائدا عاما لأساطيل الدولة ، وانضمت الجزائر بهذه الصورة الى الدولة العثمانية ٠**

هذه هى غريزة الأمم التى لا تخطىء ٠٠ والجزائر كما نعلم هى أول دولة عربية احتلها الافرنج بعد ذلك ٠٠

وقد يفكر البعض اليوم فى أى الاحتمالين كان أفضل للعرب ، احتلال الفرنجة اصحاب الحضارة المقبلة أم حماية العثمانيين رمز الحضارة المتوارية ٠؟ الا ان هذه القضية باطلة تماما ٠٠ فلم يكن هناك خيار لأن احتلال الفرنجة لم يكن يحمل ثمة أى أمل حق فى البقاء ، وكانت عبرة الأندلس هى الدرس الذى ايقظ حواس الأمة الى عهد الجبرتى عند ما يصف الحملة الفرنسية بقوله « وأوشكت القضية أن تصبح اندلسية » ٠

وقد روى ابن اياس ما جرى على الأندلس فقال « وفيه جاءت الاخبار من جهة الغرب بأن الفرنج قد استولوا على غرناطة التى هى دار ملك الاندلس، ووضعوا فى المسلمين السيف ، وقالوا من دخل فى ديننا تركناه ، ومن لم يدخل فى ديننا قتلناه ، فدخل فى دينهم جماعة كثيرة من المغاربة خوفا على أنفسهم من القتل ٠ والأمر لله » ٠

وربما نكون نحن وابن اياس متعصبين يلون الولاء الدينى نظرتنا للأمور٠٠فلنترك لسيدة شريفة هى الدكتورة « سيجريد هونكة » تقول : « فى ٢ يناير ١٤٩٢ ٠

**فى ٢ يناير ١٤٩٢ رفع الكاردينال د ٠ بيدرو جونزاليس ده مندوزا ، الصليب على الحمراء ، وهى القلعة الملكية للأسرة الناصرية ، وكان ذلك اعلانا بانتهاء حكم العرب على اسبانيا ، فهنا فى غرناطة كانت قد انتهت العروبة فى الاندلس ، اذ كانت قد شاخت وبلغت نهايتها ٠٠ وبضياع سيادة العرب وحكمهم انتهت هذه الحضارة العظيمة التى بسطت سلطانها على القارة الاوربية طيلة العصور الوسطى ، وقد احترمت المسيحية المنتصرة خدعا الاتفاقيات التى تمت بينها وبين المسلمين ، وظل هذا الاحترام قائما عدة ثمانى سنوات ٠٠ ثم وقعت احداث قضت على المسلمين وبقايا ثقافتهم وحضارتهم ، وتعرضوا للاضطهادات الشنيعة فقد حرم عليهم الاسلام وتعاليمه ، واوامره ، كما حرم عليهم استخدام اللغة العربية وحتى نطق كلمة عربية او اغنية عربية او شعر عربى ، كما حرموا عليهم ايضا حتى العزف على الآلات الموسيقية العربية واستخدام الاسماء العربية وارتداء لباسهم القومى وزيارة الحمامات وفرضت المسيحية على من يخالف هذا من المسلمين اشد العقوبات من سجن وطرد وحرق ، والمسلم على قيد الحياة ٠**

**وهكذا تم النصر على العروبة وذلك عن طريق مختلف انواع الاضطهاد من حرق وقتل وتعذيب ٠**

صدقت الدكتورة سيجريد ٠٠ وحقا ليس كل « الدكاترة حجامين » ٠٠

ثمانى سنوات ٠٠ ثم أبيد العرب ٠٠ ونحن حكمنا الاندلس ثمانية قرون ، فعاشوا تحت حكمنا وتكاثروا ، وتعلموا ، واستحموا ، وتسلموا ٠٠ ثم تعصبوا وقضوا علينا ٠٠

كانت شمس حضارتنا توشك على المغيب ٠٠ فى رحلة نحو فجر جديد ٠٠ واقبل المساء بعد يوم حافل ٠٠ لقد كان يوما صاخبا مثيرا مرهقا ورائعا حقا ٠٠ لم يمر على البشرية يوم مثله نبه ضميرها ، وأيقظ عقلها ، وفتح عينيها على ما فى هذا الكون من امكانيات الحياة والمتعة ٠٠ ما من حضارة قبلنا

قد أقبلت على الحياة كما أقبلنا .. فلم نعرف زهد العاجزين ولا لذة اليائسين .. الحياة عندنا متعة لا كأس ننتحر بتجرعه في شراهة .. ولا شر تنأى عنه ما وسعنا ..

لقد طال يومنا عشرة قرون .. وآن أن يأتي المساء . فهذه سنة الكون .. لنغفو حتى تشرق شمس الآخرين ..

صحيح ان لحظة الغروب طالت ، واننا وشمسنا تنحدر الى المغيب ، قد أفزعنا أوروبا ، ودقت أكفنا أسوار فينا..وسددنا الطريق على الغزو الاستعماري للشرق وأجبرناهم على الالتفاف حولنا ، وما زال الرعب في قلوب أوروبا الى اليوم .. ولكنه رغم ذلك كان الغروب .. كان العملاق يغفو .. وعندما مات سليمان ، ظل الجن سنوات وسنوات في العذاب المهين ، لايجرءون حتى على الاقتراب منه للتأكد من موته .. وحتى في عتمة الليل كانت ذكريات النهار تعيش في أحلامنا ، فنحتقر الافرنجي الذى طالما هزمناه ، وكان لنا من اتساع رقعتنا ، وتفوقنا العقلي والعقائدى مبررا للاستهانة بالعدو حتى التقى مراد بك وابراهيم بك بجيش نابليون .

بقيت كلمة ..

فكثيرا ما يقال ان الدولة العثمانية كانت دولة دينية ، وان جميع الارتباطات بها هي ثمرة العصبية الدينية ، وان الجدل حولها بين متعصبين للاسلام ، وعصريين ..

والحق ان هذا غير صحيح .. فان العثمانية كانت في بدايتها ونهايتها قضية سياسية وقومية ، أضعف جوانبها هي العصبية الدينية .. فمنذ بداية هذه الدولة ورعاياها لا يحملون لها ذرة من الاحترام الديني أو المدني .. وابن اياس يصف مواخير وليست معسكرات الجيش العثماني .. حيث اجفان الحشيش وقصاع البوظة .. وخيام الغلمان كفتيات الجيشا ..

ولكنها الضرورة التاريخية ألقت بمجتمع يحيط به الفناء ، الى حماية أقوى عناصره عسكريا وأكثرها تخلفا من الناحية الحضارية .. وهم المحاربون العثمانيون .. فحموه ثلاثة قرون .. والبعض يضيف وفرضوا عليه التخلف أيضا .. ولكن .. أصحيح انها كانت غلطة الأتراك ؟ . هل كان يمكن والعالم يستقبل مرحلة النظام الرأسمالي أن يقوم هذا النظام بين المسلمين ؟ .. أيمكن للخلق الاسلامي والفكر الاسلامي والتشريع الاسلامي أن يسمح بقيام نظام استغلال رأس المال ؟ .. ألم نبدد القرن الماضي كله في محاولة « تعديل الاسلام » ليسمح بالاستغلال الراسمالي والربا الراسمالي ؟ .. الا يمكن القول بأن ما تم كان دورة طبيعية تحتم فيها على المسلمين أن يتراجعوا بدينهم الى أن تنهار الحضارة الراسمالية ليعودوا بعدلهم وتكافلهم الى مسرح الحضارة من جديد ...

( أسئلة تحتاج الى من يجيب عليها ) .

وحسبنا في هذه الدراسة ان نقف عند هذه الحقيقة .. وهي ان قيام الدولة العثمانية فيالوطن العربي كان ضرورة تاريخية لمجابهة خطر الافناء .. وليس عصبية دينية ..

فماذا عن انهيارها ولماذا اختلفنا حول التركة ؟!

ولنا عودة ..

**« محمد جلال كشك »**

من ملحمة عمر

# فتح بيت المقدس

## المشهد العاشر

بقلم : علي أحمد باكثير

**فى المسجد الاقصى**

**(يرى عمر عقب صلاته باصحابه وهو ينفض الغبار الذى علق به من الارض وكذلك يفعل اصحابه )**

**عمر** : (فى تلاوة خاشعة) سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير .

**الجميع** : (يتمتمون) صدق الله العظيم .

**عمر** : خبرنى يا عبد الله بن سلام هل أصبنا المسجد الأقصى فى صلاتنا الساعة ؟

**ابن سلام** : أجل يا أمير المؤمنين ٠٠ هـــذا الموضع الذى صلينا فيه الساعة من المسجد الأقصى لا ريب ٠٠ هنا كان محراب داود ٠٠ وعلى هذا الفناء كله كان يقوم معبد سليمان .

**عمر** : الحمد لله على ما أنعم حمدا كثيرا اذ صلينا حيث صلى محمد صلى الله عليه وسلم بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليلة أسرى به .

**رومانوس** : الك تنوى يا أمير المؤمنين أن تتخذ لنا مسجدا فى ايلياء ؟

**عمر** : نعم .

**رومانوس** : فهلا اتخذته هنا فى هذا المكان المقدس ؟

**عمر** : أى والله ياأبا الروم لقد هداك الله الى صواب

**كعب** : لكنى يا أمير المؤمنين لا أشير عليك بذلك .

**عمر** : لم يا كعب ؟

**كعب** : أخشى أن يعترض اليهود والنصارى او ينازعونا فيه .

**عمر** : ويلك ٠٠ انا لم نظلم أحدا من أهل ايلياء ٠٠ فقد تركنا لهم معابدهم وكنائسهم وصلبانهم ، أما هذا المكان فقد تركوه مهجورا ٠٠ فنحن أولى به منهم .

**كعب** : أليس أفضل من ذلك يا أمير المؤمنين أن نبنى مسجدنا فى بقعة جــديدة فيكون للمسلمين خاصة لا ينازعهم فيه أحد ؟

**عمر** : ماذا ترى ياأبا الروم ؟

**رومانوس** : أما ان رأى كعب لعجيب يا أمــير المؤمنين . أيخشى أن يترك النصارى كنائسهم ويزاحمونا على هذا المسجد .

**كعب** ان لم يزاحمنا النصارى فقد يزاحمنا اليهود .

**رومانوس** أنسيت يا كعب كتاب الصلح الذى بيننا وبين أهل ايلياء ؟

**كعب** : ما باله ؟

**رومانوس** : ليس لنا بمقتضاه أن نعطى اليهود حقا فى ايلياء غير حق الزيارة والحج .

**كعب** : فهذا من حق الزيارة والحج .

**رومانوس** : كلا لقد أهمله اليهود منذ هدمه عبدة الأوثان من الرومان وبنوا على أنقاضه معبدا لالههم جوبتر ونصبوا فيه تماثيل ملوكهم ، ثم جاء النصارى فهدموا ذلك المعبد الوثنى فأصبح هذا المكان المقدس مهجورا من اليهود والنصارى على السواء من يومئذ .

**ابن سلام** : لقد صدق أبو الروم يا أمير المؤمنين .

**عمر** : أحسنت يا أبا الروم أحسن الله اليك ٠٠ والله لكأنما ادخر الله لنا هذا المكان المقدس لنعمره مسجدا ٠٠ ونحن ورثة الأنبياء . ان أولى الناس

بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين .

**رومانوس** : ولعل الله ما أسرى بنبينا الى هذا المكان وسماه المسجد الأقصى في كتابه العزيز الا لما قضى في سابق علمه أن المسلمين سيفتحون هذه الديار ويقيمون هذا المسجد نورا على نور .

**عمر** : ما أحسن ما قلت يا أبا الروم والله لقد شرحت صدري وزدتني يقينا .

**رومانوس** : شرح الله صدرك يا أمير المؤمنين ووفقك لما يحب ويرضى .

**عمر** : فاشيروا علي الآن أين ترون نجعل القبلة ؟

**كعب** : عندي بذلك علم يا أمير المؤمنين .

**عمر** : قل يا كعب .

**كعب** : اجعلها خلف الصخرة لتكون القدس كلها بين يدي المصلي »

**عمر** : ضاهيت اليهودية يا كعب .. انا لم نؤمر بالصخرة ولكنا أمرنا بالكعبة .

**كعب** : يا أمير المؤمنين انما أردت أن نولي وجوهنا شطر الكعبة من خلف الصخرة فنجمع القبلتين قبلة موسى وقبلة محمد عليهما السلام فهل في ذلك بأس ؟

**عمر** : لا بأس ان شاء الله يا أبا اسحاق ، ماولينا وجوهنا شطر المسجد الحرام .

**ابن سلام** : على رسلك يا أمير المؤمنين .. هل تبغى أن تخرج محراب داود ومعبد سليمان من المسجد ؟

**عمر** : اللهم لا ..

**ابن سلام** : اذن فلا تجعل قبلته خلف الصخرة .

**رومانوس** : لقد صدق عبد الله بن سلام يا أمير المؤمنين .

**عمر** : كيف يا أبا الحارث .

**ابن سلام** : الصخرة كما ترى هناك في الجانب الشمالي ، والكعبة الى الجنوب ، فلو جعلنا القبلة خلف الصخرة لخرج هذا المكان كله من المسجد .

**عمر** : ويحك ياكعب هل غاب عنك موضع الصخرة من الكعبة ؟.

**كعب** : ( يتغير وجهه قليلا ) لا يا أمير المؤمنين ما فاتني ذلك ولكن في وسعك أن تدخل هذا المكان في المسجد وتجعل قبلته خلف الصخرة مع ذلك .

**عمر** : كلا يا كعب .. بل تجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مساجدنا صدورها .

**كعب** : ما كنت أعلم ذلك يا أمير المؤمنين وما أردت الا الخير .

**عمر** : انما الاعمال بالنيات ياكعب وانما لكل امرىء ما نوى .

**كعب** : فابنه يا أمير المؤمنين كما رأيت وتوكل على الله .

**عمر** : ( ينظر جهة الشمال ) : اذن فذلك موضع الصخرة ؟

**ابن سلام** : أجل يا أمير المؤمنين .

**عمر** : أهكذا هي منذ كانت ؟

**ابن سلام** : لا يا أمير المؤمنين ماكانت هكذا .. وما تراكمت عليها هذه الأتربة الا منذ اتخذها الروم كناسة لهم .

**عمر** : قاتلهم الله الم يجدوا الا هذه البقعة المقدسة ؟

**رومانوس** : أرأيت يا أمير المؤمنين كيف اهمل هذا المكان المقدس من قبل اليهود والنصارى على السواء .

**عمر** : حق علينا معشر المسلمين قبل أن نقيم مسجدنا أن نرفع هذه الكناسة ونطهر منها الصخرة .. هلم أيها الناس نرفع اليوم منها ما تيسر .. (يشمر عن ساعديه ويتوجه نحو الشمال ومن خلفه الناس )

**كعب** يصيح بأعلى صوته ، الله اكبر ، الله اكبر .

**عمر** : ما هذا يا كعب ؟ ما حملك على التكبير ؟

**كعب** : يا أمير المؤمنين قد تنبأ على ما صنعت نبي منذ خمسمائة سنة .

**عمر** : يا أبا الحارث هل لديك بذلك علم ؟

**ابن سلام** : لا يا أمير المؤمنين ما عندي بذلك علم .

**عمر** : الا تكف يا كعب عن أضاليلك وأباطيلك .

**كعب** : يا أمير المؤمنين ان ما قلته لحق .

**عمر** : اذهب اليك .. لقد ضاهيت اليهودية ، وقد رأيتك وخلعك نعليك .

**كعب** انما أحببت أن أباشر الارض بقدمي .

**عمر** قد رأيتك ! والله لئن عدت الى مثلها لأوجعتك.. هلم أيها الناس الى الصخرة .

(يتوجه نحو الشمال وخلفه الناس ) .

( ستار )

**« على احمد باكثير »**

# الأدبُ العربي في شمال القوقاز

بقلم : محمد منير مرسي

عندما كنت أتعرف بالمؤلفات القيمة لكراتشكوفسكي عن الأدب العربي ، وقع بصري على العنوان الذي يعلو هذه المقالة . ودهشت لهذا العنوان الذي ربط بين أدبنا العربي وبين شمال القوقاز . فلم يخطر ببالي أن يكون شمال القوقاز ارضية لأدبنا في العصر الحديث . واخذت اقرأ باستمتاع تلك الصورة الجميلة التي رسمها كراتشوفسكي بريشة الفنان الأصيل . وعلمت منها أن اللغة العربية ظلت عدة قرون اللغة الأدبية الوحيدة التي كانت تستخدم في العلم وفي نواحي الاتصال اللغوي المختلفة في شمال القوقاز . وأن هذه اللغة عملت على تطوير تراث ثقافي استطاع أن يخلق علماء في اللغة والأدب والدين والتاريخ .

ويتضح مما نقل عن كتاب «آثار داغستان» لحسن الآلقاداري ( ١٨٣٤ – ١٩١٠ ) أن تأثير التراث العلمي العربي وصل الى داغستان بصورة مباشرة عن طريق الحج والزيارات المباشرة للبلاد العربية وتحت التأثير المباشر لبعض الشخصيات كمحمد بن موسى الذي زار مصر والحجاز واليمن ، والذي يسميه الآلقاداري بأنه أول عالم نشر العلوم والفنون العربية في داغستان .

ومن الممتع في هذه الصورة قصة كفاح اهل داغستان ضد السيطرة القيصرية ، وأسر زعيمهم «شامل» مما ترتب عليها وجود آثار تاريخية هامة باللغة العربية ، وتولد عنها كثير من أدب الرسائل والاتصال بالعربية أيضا .

وهناك صورة أخرى لا تقل امتاعا عن سابقتها : ففي العقد الثاني من القرن العشرين حدث أن أرسل طالبان من القوقاز لاكمال تعليمهما في معهد لينينجراد للغات الشرقية . وكانا لا يعرفان الا لغتين : لغتهما الوطنية ، واللغة العربية . وكانا يتحادثان بطلاقة تامة باللغة العربية في مختلف الموضوعات . بل ان أحدهما كان يكتب أشعارا منظومة على حسب أصول وقواعد العروض العربي .

وينقل كراتشكوفسكي عن « الشوكاني » في كتابه « البدر الطالع » قوله : انه قابل في صنعاء أحد علماء داغستان وانه سأله عن سبب رحيله من بلده ، ألم يكن من أجل أداء فريضة الحج . فأجابه بأنه جاء ليبحث عن كتاب قيل له انه موجود في صنعاء ويعلق الشوكاني على كلام هذا الداغستاني بقوله : ان اجابته كانت بلسان عربي مبين ، على درجة عالية من البلاغة والفصاحة ، وبلغ من حسن تعبيره وروعة ملفظه انني دهشت لدرجة أن اقشعر بدني .

وقد ذكرتني هذه القصة بحادثة وقعت معي . ففي أول زيارة لي لمعهد شعوب آسيا في موسكو التقيت بشخصية شرقية الملامح . وما ان عرف صاحبها أنني عربي حتى توجه الى بأسلوب عربي فصيح لا عوج فيه ولا التواء مما جعلني أعتقد بأنه أحد أبناء البلاد العربية الذين يدرسون في هذا المعهد . وامتد الحديث بيننا فسألته عن دراسته فأجابني بأنه لا يدرس في هذا المعهد وانما يعمل مساعدا لمديره . وهنا خطر ببالي أن مساعد مدير لمثل هذا المعهد لا يمكن أن يكون عربيا ، فسألته عن موطنه ، فكانت دهشتي الكبرى عندما أجابني بأنه من بلاد القوقاز .

وهناك في معهد شعوب آسيا قابلت الاستاذ شرباتوف ، المستشرق في اللغة العربية ، وصاحب الجهود القيمة في دراسة اللهجة المصرية . وعبرت له في حديثي معه عن اهتمامي بالموضوع الذي أثاره كراتشكوفسكي عن الأدب العربي في شمال القوقاز . وختمت كلامي بابداء الرغبة في الاطلاع على دواوين بعض شعراء القوقاز . فأجابني بأن من يستطيع مساعدتي في هذا الموضوع هو « محمد سيدوف »

الداغستاني . وأشار علي بالاتصال به . وفعلا ارسلت له خطابا عبرت له فيه عن رغبتي . وبعد أيام تسلمت منه خطابا باللغة العربية الفصحى وبخط جميل منمق وباسلوب عربي مبين يقول لي فيه ..

« ..... شكرت اهتمامكم بأدبنا الداغستاني باللغة العربية . ولعمري ان دراسة هذا الموضوع لطريف وجدير بالالمام والاهتمام . وقد كان المرحوم الاستاذ كراتشكوفسكي قد الم في آخر حياته بالأدب المحلي الداغستاني بالعربية . والكاتب أمده آنئذ ببعض نماذج من شعر هذا الأدب الفريد ، ثم اصدر مقالته « الادب العربي في شمال القوقاز » ونرى من الأوفق تسمية الموضوع الفريد « بالأدب الداغستاني بالعربية » لأن التربة التي ولد فيها هذا الأدب ونما وتطور وازدهر هي داغستان بالذات فقط . وقد أرسلت لكم نسخة من معروضتي ... ومن واجبي أن أنوه الى أن هذه المعروضة هي خلاصة مازاولته ومارسته عدة سنوات من التدقيق العلمي في هذا الموضوع » .

« ان الدواوين والأشعار العربية للداغستانيين اغلبها مخطوطات مبعثرة ، غير مجموعة في مكان واحد .... واقبلوا فائق تحياتي ومزيد فرحي مما انتم عازمون على دراسة الادب العربي في داغستان، وعظيم ارتياحي من اناطة درس اللغة العربية في تاجيكستان بعربي قح من صميم أرض الكنانة ، وفقكم الله لخدمة العلم وتطوره . الله اكبر والعزة والمجد للعرب . » .

**محمد سيد بن جمال الدين الاوارى الداغستاني**

**« ما حاج قلعة »**

ووجدت مع الخطاب كتيبا صغيرا بالانجليزية ترجمة لدراسته عن هذا الموضوع وبعد أيام اخرى أرسل لي نسخة بالعربية من هذه الدراسة كان قد القاها باللغة العربية في المؤتمر الدولي الخامس والعشرين للمستشرقين الذي عقد في جامعة موسكو في أغسطس من سنة ١٩٦٠ . وخلاصة ما يقوله الأستاذ « سيدوف » أن الأدب العربي في داغستان ظهر في الوقت الذي بدأ فيه تدهور الثقافة العربية بصفة عامة . لأن الأدب الداغستاني العربي بدأ نموه في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر . وكانت الأرض التي رعت هذا النمو، البيئة المحلية لداغستان . ومن هنا كان هذا الادب مصدرا هاما بل مرآة تنعكس عليها التطور التاريخي لهذا البلد . ومع أن أعمال الكتاب الداغستانيين في ذلك العصر لم تدخل في نطاق ثروة الآداب العالمية - مثلما حدث للأدب العربي العام - الا أن لها دلالة هامة من حيث انها تعطي صورة حية للأحداث التاريخية والأوضاع المحلية لهذه الأقوام الجبلية .

ويمتاز الأدب العربي الداغستاني - باعتباره وسيلة للتعبير - باسلوب واضح متناسق ، وتعابير غنية وافكار غزيرة ، كأنه نموذج من الأدب العربي في عصوره الذهبية الغابرة . وهناك اتجاهان واضحان لتطور الأدب العربي الداغستاني في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر :

أولهما : يتمثل في المدائح الالهية والنبوية التي جادت بها قرائح الشعراء الداغستانيين تحت تأثير الاشعار العربية في الالهيات والمدائح النبوية . ويغلب على هذا الاتجاه السطحية والتكرار اللفظي والتعبيرات الجوفاء مما أدى الى رداءة النظم الشعري. ومن شعراء هذا الاتجاه : علي بن محمد البغدادي التارغووي ، والشيخ علي الغوموقي . والعالم كلا محمد الكاظروخي وشعبان بن اسماعيل العوموري ، وآقاميرزا القاعاني ، ودبيرقادي الاوارى وغيرهم .

ثانيهما : هو الاتجاه الذي يمثله الشعراء الداغستانيون الذين تغنوا بالوقائع التاريخية المعاصرة ، والحياة الواقعية ، وعكسوا صورتها في أشعارهم فمثلوها أصدق تمثيل. وهم أنفسهم كانوا يشاركون في تلك الحوادث بأقلامهم ومواهبهم . وهذه المواهب كانت مطبوعة بطابع خاص يميزهم . بل انهم كتبوا في مختلف الاغراض الشعرية من حماسة ، ونسيب ، ومديح وزمانيات وهجاء ..

ومن شعراء هذا الاتجاه في داغستان ، العالم الشهير سعيد الهاراكاني والعالم الحاج محمد السوغوري ، والعالم عبد اللطيف الجوزي ويوسف الياخساوي ، وميرزا علي الآختي ، وشيخ أمير الغوموقي وحسن الآلقاداري ، ومحمد الهيهالي وغيرهم .

أما الطور الجديد للادب العربي الداغستاني فيبدأ في أوائل القرن العشرين . وقد تمكن ممثلوه من الاطلاع والوقوف على بعض الاحداث السياسية الهامة . ويمتاز هذا الطور الجديد بوجود صلات بينه وبين الآداب المختلفة لروسيا القيصرية وبخاصة الأدب « التتري » الذي خطا خطوات الى الأمام آنذاك. ولم يعدم هذا التطور الجديد في الأدب العربي الداغستاني تأثره بالبلاد العربية كمصر وسوريا .

ونتيجة لهذا التطور الجديد بدأ التجدد والانتعاش في شخصية الشعراء ووعيهم ، واطلعوا على آثار وأفكار علماء الشرق والغرب مما أدى بالضرورة الى تطور في الادب من حيث وضوح الرؤيا واتساع أفقها .

ومن بين الشعراء البارزين في أوائل القرن العشرين ، محمد بن عبد الرشيد الهاراكاني المتوفى سنة ١٩٢٨م ، وله قصائد رنانة وأشعار خلابة منها قصيدته « يوم العواء » التي قالها في معركة « عايا قاقا » بين الثوار الفدائيين الداغستانيين وأتباع الجنرال « دينتكين » في جبال داغستان سنة ١٩١٩ ، والشاعر علي السوغوري ، وحسن كوزون الفوموقي ، وفخر الدين الآرغاني والشاعر العظيم محمد الغمري ، واسماعيل الشولاني ، ومحمد نور، ومكة شريف الكيمراويان وغيرهم .

وان خصائص اللغة العربية للأدب الداغستاني ، تحمل طابع التطور التاريخي لداغستان وان هذه اللغة في تطورها لها أهميتها التاريخية، ولها أهميتها كمادة ممتعة للنقد الأدبي ولعلم اللغة العربي بصفة عامة ، لأنها تساعدنا على تكوين صورة واضحة لتطور فرع من فروع الأدب العربي .

**محمد منير مرسي**

# العائد

للشاعر : عبد الوهاب قناية

رباه .. ابصرت الطريق .. وعدت أدراجي أسير
وغسلت بالعبرات آثامي وأدران الفجور
وأفقت.. ويحي.. كم زرعت وكم حصدت من الشرور

***

قد شدت يارباه .. سجنا .. فيه أصبحت الأسير
وعقدت مشنقة بجيدي . . خلتها عقد الزهور
وعصبت عيني ثم سرت . . وقلت : ما غيري بصير
وسجدت للشيطان أسلمه زمامي والمصير
وعلى أتون الاثم أحرقت الليالي كالبخور

***

وافقت يا رباه من سكري . . وعاودني الشعور
فنظرت أتلو في كتابي ما حفرت من السطور
فوجدتني في القاع . . وسط الطين والليل الضرير
ووجدت أسواط الرذيلة حطمت عودي النضير
ووجدت اني قد غرست البذر في بطن الصخور

***

فبكيت يارباه امحو عمري الماضي المرير
وأذبت بالعبرات أغلال .. وحررت الأسير
وهناك أبصرت الطريق .. فعدت أدراجي أسير
رباه فارحمني .. وبارك عودتي .. أنت الغفور

عبد الوهاب قناية

# النثر عند حافظ ابراهيم

بقلم صديق شيبوب

**كل شاعر ناثر** • هذه قاعدة اذا تدبرناها وجدناها مستمدة من منطق الامور وحقيقة الأوضاع وخصائص الشعر ولوازم النثر •

والشعر فن • ولكل فن صناعته وخصائصه • ومن خصائص الشعر وضروريات صناعته أن يتعمد الشاعر اختيار الألفاظ ذات الجرس الخاص والايقاع المنشود ، وان يعنى بتنسيق عباراته بحيث تدل فى ايجاز على المعنى المقصود ، تدل عليه الالفاظ المختارة والعبارات المتآلفة والجمل المصوغة •

والشاعر يتعود اختيار الكلمات وتأليف العبارات وموسيقى الألفاظ •وبعبارة أخرى الالفاظ والعبارات فى موسيقى تدل على المعنى • انه يتعود ذلك حتى تصبح عنده سليقة تنسرح على قلمه سواء نظم الشعر أو استرسل فى النثر •

والنثر ليس مجرد الفاظ تؤلف لتادية معنى من المعانى • انه صناعة فنية تحتاج الى براعة أدبية وقيم موسيقية لايجاد المعادلات الصوتية والموازنات الايقاعية بين الجمل سواء أكان هذا النثر مسترسلا مكتوبا أم مسموعا •والنثر يحتاج الى جمال وطلاوة ، والى ألفاظ مختارة وعبارات منقحة مصفاة •

والشاعر يتدبر هذه القيم منذ نشاته ويجد فى احساسه الشعرى وفنه الايقاعي معينا وهاديا ودليلا• فاذا نقل هذا الفن الذى حذقه الى النثر تماسكت عباراته ارتالا وانسالت جمله انسيالا •

ولاعجب اذا رأينا بعد ذلك أن كبار الكتاب الذين طبعوا النثر بطابع خاص كانوا ممن عالجوا النظم فى مستهل حياتهم الأدبية •

واذا كان التاريخ قد أغفل الاشارة الى هذه الظاهرة فى سيرة أمثال عبد الحميد الكاتب أو ابن المقفع فلعله فعل ذلك لتغلب النثر على آثارهما ، أو لأنهما لم يجمعا بينه وبين الشعر مثل بديع الزمان وابن زيدون وأبى العلاء •

ونستطيع أن نعد **حافظ ابراهيم فى زمرة هؤلاء** النوابغ الذين جمعوا بين الشعر والنثر وبرزوا فيهما على السواء • ولقد كانت مواهب حافظ الأدبية وسليقته الشعرية ، وما اشتهر عنه من وفرة الحفظ وقوة الذاكرة ــ كل هذا يؤهله لتبوىء هذه المكانة •

ومن المعروف عن حافظ أنه لم يستكمل دراسته المدرسية وانما تثقف على هواه فأكثر من المطالعة والاقبال على أمهات الكتب وخاصة كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى ، ودواوين كبار الشعراء ، كما صحب طائفة من كبار علماء عصره الذين كانوا يحضرون مجالس الشيخ محمد عبده •

وقد وصفه صديقه وصفيه الشيخ **عبد العزيز البشرى** أنه رزق خلالا ثلاثا لا تستوى للكثير : الأولى سلامة الذوق ، والثانية قوة الحافظة ، والثالثة طلاقة اللسان •

وتهمنا الخلتان الأوليان • فقد كان حافظ يحس بجمال النصوص التى يطالعها وبروعتها ويحفظها عن ظاهر قلب فتستقر فى عقله الباطن حتى اذا عالج الكتابة ظهر أثرها فى تلك العبارات الجميلة التى كان يصوغها والجمل الرائعة التى كان ينثرها • وهكذا تكاملت لحافظ حسن الصياغة وجمال العبارة وبلاغة الألفاظ وحلاوة الجرس •

ويظهر بعض هذا فى الكتاب الذى بعث به من السودان الى الشيخ محمد عبده يسأله فيه التوسط لرجوعه الى مصر ، ولعله أول أثر نثرى تخلف عنه ، وهذه الرسالة تقف الى جانب رسائل الهمذانى والخوارزمى ولا تقل عنهما حسن أداء وبراعة صياغة• انه يقول : « واليوم أكتب اليك وقد قعدت همة النجمين وقصرت يد الجديدين عن ازالة ما فى نفس ذلك الجبار العنيد • فلقد نماضب ضغنه على،وبدرت

بوادر السوء منه الى ، فاصبحت كما سر العدو وساء الحميم ، وآلامى كأنها جلود أهل الجحيم ، كلما نضج منها أديم تجدد أديم ٠٠٠ »

وهكذا نجد حافظا ينحو فى رسالته منحى المتقدمين من كتاب اللغة وكبار أدبائها فى نزعة شعرية وصور ذهنية ٠ وقد كان هذا النوع من الصياغة متفشيا فى ذلك العهد ، نجده فى صهاريج اللؤلؤ للبكرى وفى بعض حديث عيسى بن هشام للمويلحى ٠

على أن حافظا لم يلبث أن تخلص من هذا الأثر ومشى فى طريقه فى النثر باسلوب هو الصميم من العربية مع خلوه من التقليد أو المحاكاة ٠

فعل ذلك فى قصة « **البؤساء** » الشهيرة للشاعر الفرنسى فيكتور هوجو ٠ وهى طويلة ٠ وقد ترجم حافظ فصلين منها ونشرهما سنة ١٩٠٣ ٠ وقد طبع الكتاب على نفقة احمد حشمت باشا بعنوان « كتاب البؤساء ـ وضعه فكتور هيجو وعربه محمد حافظ ابراهيم ـ الجزء الأول » ٠

ومن المعروف أن المتقدمين من العرب كانوا يرون أن الترجمة على نوعين ، اما ترجمة للأصل حرفية أو معنوية فقط ٠ ويقول الصلاح الصفدى ان الطريقة الأولى رديئة لوجهين : أحدهما أنه لايوجد فى الكلمات العربية كلمات تقابل جميع كلمات اليونانية ( وكان الكلام اذ ذاك منصبا على الترجمة عن هذه اللغة)٠٠٠ والثانى أن خواص التركيب والنسب الاسنادية لاتطابق نظيرها من لغة أخرى دائما، وأيضا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهى كثيرة فى جميع اللغات ٠

وقد أخذ حافظ بنظرية الصلاح الصفدى وسلك الطريقة الثانية متصرفا فى الأصل من حيث التعبير ٠ ولم يكن له أن يفعل غير ذلك لأن الطريقة الأولى ـ الترجمة الحرفية للأصل ـ تقتضى معرفة جيدة للغة المترجم عنها ، وهذا ما لم يكن يتوفر لحافظ ، بل قيل انه كان له المام بسيط باللغة الفرنسية وانه كان يستعين على الترجمة ببعض اصدقائه ٠ وهكذا نجد حافظا لا يتقيد بتقسيم القصة الى أجزاء وفصول ويصدف عن كل مالايستطيع التعبير عنه بالعربية تعبيرا فصيحا يتساوى مع البلاغة التى توخاها فى كل الكتاب ، ويصدف عن كل مالا يستسيغه المطالع العربى ٠ ويأخذ حافظ على هوجو سرعة الانتقال من موضوع الى موضوع لأنه ينتقل طفرة من سرد العظات الى الخوض فى السياسة مما حمله على الشكوى من الجهد الذى عاناه فى تعريب الكتاب ٠

وترجمة حافظ على طريقة نقل المعانى فقط والاكتفاء من الاصل بما يستطيع تأديته فى بلاغة وفصاحة قد جعلت من « كتاب البؤساء » نموذجا رائعا للأسلوب العربى الرصين ٠ وقد وصفه الشيخ ابراهيم اليازجى حين كتب مقرظا الكتاب عند ظهوره فقال :

« اما لغة الكتاب فهى النهاية من البلاغة وحسن الترصيف ، ولا سيما الصفحات الأولى من المقدمة وما يليها ، وهى التى كان المعرب فيها مالكا عنان قلمه يصرفه بوحى فكره فيجرى حرا طليقا لاينساق الا حيث يسوقه وجدانه ، ولا يرسم الا ما يرتسم فى مخيلته ٠ فترى الكلام منسجما متراجع الفقرات لا يعترضه تكلف ولا تعسف ، ولا يرجع المطالع فيه على عبارة قرأها » ٠

وبعد أن تناول الشيخ اليازجى بالنقد الصفحات الأولى من القصة المترجمة حيث وجد أثر كد القريحة قال ان الكاتب استأنف ارتياحه وعاد قلمه الى مثل جريه الأول ورأيت الكلام متراصفا يساوق بعضه بعضا فى غير تكلف ولا تصنع ٠

هذا ما قاله الشيخ اليازجى عند ظهور « كتاب البؤساء » والحق ان حافظا ظل يعالج عبارات اللغة والفاظها فى كتابه حتى أخرجه فى ديباجة عربية ناصعة لا يظهر فيه أثر للترجمة ٠ ولا عجب فقد سلخ حافظ عاما كاملا فى تعريب هذا الكتاب الذى يقع فى ١٥٤ صفحة من القطع الصغير ، لأنه كان ينحت الألفاظ نحتا ، ويصقلها صقلا ، ويتخير الاستعارات والمجازات فتتسابق الى قلمه حتى لايكاد يخلو منها سطر واحد ٠

وليس أدل على طريقة حافظ فى تخير الألفاظ وتنسيق العبارات من هذه الصفحة فى مستهل كلامه عن فكتور هوجو ، فهى أجمل ما كتب رصانة تركيب وموسيقى الفاظ وعذوبة تعبير :

« ولد هيجو والقرن الغابر صبى فى مهده لم يدرج فى حجر أمه ، ولم يفرق بين أمسه ويومه ٠ فاصطحبا طفلين ثم افترقا ، وضرب الدهر بينهما بضرباته فالتقيا شيخين فانيين ، فاذا الأول سيد القرون ، واذا الثانى نادرة البطون ٠ هذا يمشى على

قدميه من ليل ونهار ، ويطير بجناحيه من كهرباء وبخار ، وذلك يتوكأ على عصوين من عظة واعتبار ، ويرتدى بثوبين من حكمة واختبار . وقد جلس الاول على سرير دولة الايام ، وأخذ الثاني بصولجان دولة الاقلام ، فالتقت دولة العجب بدولة الادب ، واجتمعت بدائع الاختراع ببدائع اليراع ، فاخضل ظل هاتين الدولتين ، وامتد من المغربين الى المشرقين فظل الناس بين نعيم الحرية ونعيم المدنية » .

ويجب أن ننتظر الى سنة ١٩١٢ حتى يصدر جزء آخر من ترجمة قصة البؤساء .

وقد جرى حافظ فى ترجمة هذا الجزء على الطريقة التى نسج على منوالهـا فى ترجمة الجزء الاول من حيث عدم التقيد بالاصل ، وتوخى فصاحة الاسلوب وبلاغة العبارات وتخير الالفاظ ، بل لعله غالى بعض الشيء فى تخير الالفاظ حتى استعمل منها الكثير غير المألوف واضطر الى تفسير معانيها .

بين هذين العهدين ونشر الجزءين ، وفى سنة ١٩٠٨ على وجه التحديد ، نشر حافظ ابراهيم الجزء الاول من « **ليـالى سطيح** » الذى كتبه فى اوقات متفاوتة واحيان متباعدة ، ولعله تأثر فى فكرة روايته على لسـان سطيح ، احد الكاهنين المعروفين فى الجاهلية « شق » و « سطيح » ، بكتاب « حديث عيسى بن هشام » الذى بعث فيه المويلحى احد سراة مصر الغابرين ليشهد تبدل الحال وتغير الأوضاع . ولكن سطيح يختلف عن حديث ابن هشام من حيث الاسلوب والموضوع .

فى ليالى سطيح يخرج « أحد أبناء النيل » ذات مساء وقد « ضاقت عن النفس مساحتها لهم نزل به وأمر بلغ منه » فما يزال يسير والليل حتى اذا صار « من الأهرام أدنى ظلام » طرق سمعه « صوت انسان يسبح الرحمن » فقصد مصدر الصوت فاذا به يقول « ... خرج يروح عن نفسه ، ويخفف من نكسه ، فكشف له عن مكانى ، وقد آن أوانى ... » وصار «أحد أبناء النيل» يلتقى فى كل ليلة بالصوت فيحدثه سطيح عن موضـوع عالق بالاجتماع أو الأدب أو السياسة .

وأسلوب حافظ فى ليالى سطيح لا يختلف عن أسلوبه فى « كتاب البؤساء » من حيث قوة الأداء وتخير الألفاظ والعناية بالاستعارات . وهو يقصد السجع اذا دان له ، خصوصا فى مطالع الفصول او فى مطالع كلام سطيح ، مثل قوله : « اديب بائس ، وشاعر يائس ، دهمته الكوارث ، ودهته الحوادث فلم تجد له عزما ، ولم تصب منه حزما ... » وقوله : « وكنت مع نفسى فى وحدة الضيغم ، ومن همومى فى جيش عرمرم ... » ويكفى أن تفتح اى صفحة من كتاب سطيح حتى تقع على مثل هذا السجع المصقول والنثر المطبوع الذى يرقى الى مرتبة النثر الفنى الجميل .

بقى كتاب « الموجز فى علم الاقتصاد » تأليف «بولروا بوليو» ، وكان احمد حشمت باشا ، ناظر المعارف وقتئذ قد كلف حافظا سنة ١٩١٢ ترجمة هذا الكتاب، ثم ضم اليه خليل مطران فقاما بمهمتهما ونشرا الكتاب سنة ١٩١٣ فى خمسة أجزاء ، اى أنهما أفردا لكل فصل من فصول الكتاب الفرنسى الصغير جزءا على حدة ، وقررت نظارة المعارف العمومية تدريس هذا الكتاب فى مدارسها .

***

ولا نرانا قد أتممنا المطاف بآثار حافظ النثرية اذا لم نشر الى « كتيب التربية الأولية » الذى ترجمه حافظ لتلاميذ المدارس وطبعه فى جزءين سنة ١٩١٣ بتكليف من حشمت باشا ايضا . ولعل حافظا انتفع من النقد الشديد الذى وجه الى كتاب « الموجز فى علم الاقتصاد » من حيث بلاغة الاسلوب وصعوبته على الطلاب فتوخى فى كتابه الجديد السهولة والبساطة استجابة لحاجات الطلبة . وقد وصف حافظ ترجمته فى مقدمة الكتاب فقال : « **ولم أنزل بهـا الى منزلة الساقط المرذول ، ولم ارتق بها الى ذروة البلاغة ولكن جعلت لى سبيلا قصدا بين الغايتين** » .

وبعد فهذا هو **حافظ ابراهيم** الناثر . ولعلنا لا نخطىء اذا قلنا ان حافظا كان يعالج النثر كما يعالج النظم ، فينسق عباراته كما ينسق قوافيه ، ويتخير مفردات النثر كما يتخير مفردات الشعر من حيث الدقة والضبط والتوقيع . ولعل بعض صفحات نثره كلفته من الجهد قدر ما كلفته قصائده ، وهى صفحات لا تقل عن هذه القصائد روعة وجمالا . ولا عجب فى ذلك فقد كان حافظ شاعرا كبيرا ، وكل شاعر ناثر .

« **صديق شيبوب** »

# حول الأدب في الشرق

بقلم عبده بدوي

## ماذا يدور في الحقل الأدبي

لا أريد بحديثي هنا أن أوسع حدقة بعض الزملاء الذين يهاجرون بأقلامهم الى بعض المجلات البيروتية ، ولا اريد ان اطالبهم بالعودة الى صدور مجلاتهم وقبض أيديهم عن المكافآت السخية ، وفي الوقت نفسه لا أريد أن تكون هناك فجوة بين الأدباء على الصعيد العربي ، فنحن في هذه الفترة في حاجة الى النبض من بذرة واحدة ، والى الصمود من جذع واحد ، والى أن نكسو الأرض العربية بالظل والثمر والعبير !

أقول اني لا أريد شيئا من هذا ، وانما أطمع في أن أرى طعما واحدا لثمارهم ، فنحن نجد لبعضهم هنا حلاوة في المذاق ، فاذا ما رحل بقلمه تدفقت المرارة من قلبه وقلمه ، حتى ليخيل للقارىء أنهم يغمسون اقلامهم في دماء هذه الأمة ، وانهم لا يقدمون جملا وحروفا ، وانما يقدمون حقدا جافا صلبا، وبثورا من حقد لاتلبث حين تتجاوز ان تأخذ هي الاخرى هيئة الحقد الجاف الصلب !

ولعل من الأشرف لبعض هؤلاء المهاجرين أن يكونوا اصحاب مواقف محددة ، حتى ولو كانت هذه المواقف تدين وضعا أو عصرا ، أو حضارة من الحضارات ، ذلك لأن مواقفهم هذه تومىء أن هناك حجرا على الفكر في موطنهم ، أو تجعلهم سخرية حين يرصد انسان حركة الفكر في بلد من البلاد العربية ، فالذى أعرفه أن حرية الأديب مكفولة ، وأن له حق الهجوم والتعريض والادانة ما دام يملك الدليل على ما يقول ، وأنا لست في حاجة الى ذكر المحاكمات التي تمت أخيرا - بدليل وبدون دليل - للاله وللعروبة وللقيم وللتاريخ ولبعض الشخصيات الحية والميتة في بعض الصحف والمجلات في الجمهورية العربية المتحدة : ومعنى هذا أن الحقل الأدبي يتنفس العبير والوهج وأنه لا يفصله عن الافق وما بعد الأفق ما يخيف أو يرهب أو يقصر القامة ، أو يجعل الأنامل التي تحمل القلم راعشة أو مضطربة ، فالكاتب عندنا يجد من الحرية ما يجعله لا يحيط بذراعيه المنطقة العربية فقط ، ولكن العالم أجمع ، بل يجعله يحتضن الجحيم نفسه اذا رغب في هذا !

ولكن الطائفة التي تحمل على جسمها أكثر من وجه تحاول أن تغير من هذه الحقيقة عن سذاجة أو عن خبث ، ولعل هذا هو الذى جعل بعض الكتاب عندنا بدون مواقف ، وجعل بعض الذين يتعاملون معهم ينظرون اليهم نظرة تتقاسمها السخرية

والمرارة ، بل جعلهم ينظرون الى الجمهورية العربية المتحدة نظرة بعيـدة عن الحقيقـة ٠٠ ففي بعض صحف بيروت اليوم حملة ضارية على مصر وعلى الفكر فيها ، ولعل من المضحك انهم لا يذكرون الا اسم مصر ، فاذا كان لا بد من التلوين بين العبارات ذكروا كلمة القاهرة ، اما كلمة الجمهورية العربية المتحدة فيصرون على تجاهلها ، كأن هذا يهـدىء من حركة الصدر المسـتثار ، أو يجعل الآماق الغضبى تهدأ أخيرا على حلم خبيث لا يختلف في صورته عن الشيطان !

**وخيط المعركة** يبدأ في باب « رسالة القاهرة » ٠٠ بالعدد الاخير من مجلة حوار الذى كتبه ( أديب خطير ) من الجمهورية العربية المتحدة : اسمه أحمد رشدي حسين ، حاول فيه أن يعطي صورة مشوهة للفكر في بلاده ، وأن يوسـع رقعة الخلاف بين الشعراء ، ثم أخيرا أن ينال من مجلتي الرسالة والثقافة لأنهما لا يسيران في الخط الذى تسـير فيه بعض المجلات في بيروت ، ولأنهما لا يؤمنان بالتبعيـة الفكرية لمجلة حـوار ، وأخيرا لأنهما يستنبتان كلمة جديدة من ارض الحقيقة .

ونحن الآن نتسـاءل عن هذا الأديب الخطير الوهمي الذى ظهر فجأة فيالحقل الأدبي بالجمهورية العربية المتحدة ، والذى أعطى نفسه حق الحديث باسم بلاده ، والذى يكتب لأول مرة في حـوار ٠ والذى تم أسلوبه عليه ومع ذلك لم نحاول الكشف عنه ، ولكن خطأ صغيرا جاء في العدد ٨٩٢٧ من ملحق جريدة النهار قد نم عليه، فقد استعملت هذه الجريدة أسلوبا ليس غريبا عليها وهي أنها اعادت نشر رسالة القاهرة نقلا عن حوار ، ذاكرة أن الذى كتبها هو مراسلها في القاهرة ، ولما كان مراسلها في القاهرة ليس هو الاديب الخطير الوهمي احمد رشدي حسين ، وانما هو « بهلوان » يسيء في كل يوم الى بلاده ، ويحدث في كل أسبوع تخريبـا في الحياة الفكرية ٠٠ لما كان الأمر كذلك كان من الواجب أن نتساءل : الى متى تظل هذه الأعشاب السامة في الحقل الأدبي ؟ وكيف أن هذا النوع من المتسلقات لا يجمل الحياة ، وانما يلف ويظل يعصر في بطء وخبث البريق والنضارة من شجرة الفكر ، ونظرة واحدة الى أسفل هذه الشجرة تؤكد أنه كان وراء هذه الأوراق ، وهي تصفر ، وهي تسقط ، وهي تموت !

**فاذا تتبعنا هـذا الخيط** وجدنا الميدان الحقيقي للمعركة في مقال بجريدة النهار ( الأحد ١٠ كانون ٢ ـ ١٩٦٥ ) تحت عنوان : رسالة الى القاهرة حول مصائب الشعر لم تنشرهـا القاهرة بامضاء رئيس التحرير أنسي الحاج ، وهو يمهد في هـذه الرسالة بأن الشعر اللبناني قد تعرض في مجلـة الشـعر لأبحاث « مختلفة القيمة لهـاني مندس والدكتور عبد القـادر القط ومحيي الدين محمد» وانه ما كان ليعنى بما يكتب عن هذا الشـعر « خصوصا وأننا اعتدنا اصدقائي وانا عادات بعض المصريين في المغالطة والسطحية » ، لولا المقال الذى كتبه الدكتور عبد القادر القط « تحت ماكياج العداء والصد» ،ومع أنه يذكر أن مقال الدكتور عبد القادر القط ناقص في المعـلومات ، ومجمد عند أبواب جاهزة ، وأنه أمسك منه « خيط شـهوة لاجتياح الدعاية الجاهلة والسـطحية والسيئة » ، وان هـذا الخيط جعله يصمم على أن يرد على « الحملة المصرية» برسالة موجهة الى الدكتور القط ٠٠ مع أنه يقول هذا : الا انه يؤكد أن الدكتور عبد القادر القط لما كان يتهم « بالترويج للشـعر الجديد الذى يملؤه اصحابه بالرموز المسيحية واللا اسلامية لتخريب الوجدان العربي ومحو التراث الاسلامي » ، فانه يكون في حالة « **يكسب فيهـا عطفنا وتاييدنا وحبنـا واعجابنا** » ٠

ثم ينشر الرسالة التي أرسلهـا الى الدكتور عبد القادر القط والتي تدور حول النقاط الآتية :

١ ـ الكتاب المصريون يرتكبون خطأ فادحا حين يقصرون الكتابة على « الشعر المصرى » ، وحـين لا يجدون الا اسمي صـلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازى ، مع أنه لا يصح اعتمادهما مقياسا للشـعر الحديث ، فالأول شـاعر ثانوى والآخر ضائع وثانوى !! »

٢ ـ هناك سوء فهم ومغالطات رهيبة من طريقة الكتاب المصريين في نقد الشعر أو شرحه ٠

٣ ـ حين احتضـنت مجـلة « شعر » الحركة الشعرية بصدر رحب وعلم « وشـهوة خلق » ومسئولية تاريخية » لم ير الكتاب المصريون في هذه المجلة ـ وقد ساهم بعضهم فيها ـ غير اتهامها بالخيانة للتراث العربي وهذه السـياسة الجاهلة

والمتحاملة الجات واحدا مثل الى رد الاتهام بالتحدي! والى تبنى الخيانة ! »

٤ ـ كانت القاهرة آخر من يعلم قصيدة النثر ، ولم يكلف واحد من المصريين نفسه عناء الدرس للفهم ،فلما كتبوا عن هذا الموضوع شوهوه « ان أبرز ما تتسم به كتابات المصريين عن قصيدة النثر هو الفهم ـ أو عدم الفهم ـ الجزئى الجانبى السطحى ، والميل بخفة صاعقة الى الاستهتار والتسفيه» حتى ان دراسة الدكتور القط «كانت جانبية».

٥ ـ يؤكد أن « المصريين » لا يقرءون قصيدة النثر قراءة صحيحة ، وأن هذا يؤلم هؤلاء الشعراء ويزيدهم ايمانا « بمهزلة الواقع الأدبى العربى المعاصر » ·

٦ ـ يجب الا تسيء مصر الى نفسها بعدم تدوق هذا الشعر ، فليس هناك مبرر لهذا « غير الكسل والاستهتار وسوء النية !! » ·

٧ ـ ما يريده الشعراء فى لبنان هو أن يجعلوا الشعر «يتخطى الاعتبارات السياسية والقومية ، ومن جهة أخرى عليكم أن تخرجوا من لعبة خدع انفسكم بالسهولة والسطحية ·· اذا كنتم فى مصر ثوريين فعلا فلا مبرر لكم فى الوقوف ضد هذا الشعر ، وفى افساده ، وفى الاكتفاء بشعراء مصر الثانويين ، الشعر العربى الحديث ، اللبنانى منه بشكل خاص ، أكثر تحررا وتمردا وثورية من كل ما حدث فى العالم العربى ، اذا كنتم مخلصين يجب أن تلحقوا به لا أن تخونوه » ·

٨ ـ فيما يتعلق باشاراتك الى شعرى ـ والحديث هنا موجه الى الدكتور عبد القادر القط ـ لن تستطيع ان تعطى رأيا محترما ، اذا لم تحاول ان تفهمه بعقلية نظيفة ، متفتحة ، واسعة ، لن تعطى رايا ذا قيمة !!

٩ ـ « ·· اذا كان فى كلمتى عنف فهو عنف شرعى، اذ الحوار مقطوع بيننا وبينكم ،انتم تسلكون طريق الدكتاتورية الادبية ، لو أقيم مجال للحوار لطالبت قبل كل شيء بمناظرة حساب ومحاكمة ، اننى أعتبر مصر مسئولة عن تفشى السطحية والتفاهة والسخف فى كثير من الحقول ، وفى الشعر خاصة » ·

والآن : هل يطاوع اديب قلمه ليعكر صفاء لبنان ؟

وهل اراق انسان دماء الفكر فى بلد عربى بمثل هذا الخنجر الذى يحمله أنسى الحاج ؟ وهل هناك دليل على ان المقصود هو النيل من « مصر» من خلال قصيدة النثر ، والا فما هى مسئولية «القاهرة» عن تفشى السطحية والتفاهة والسخف فى كثير من الحقول وفى الشعر خاصة ؟ ومن هو أنسى الحاج حتى يلقى درسا على الدكتور عبد القادر فى أن مقالته كانت ناقصة فى المعلومات ، ومجمدة وجانبية ، ثم يسرع فيمنحه « العطف والتأييد والحب والاعجاب » حين يذكر أنه قد لصق به الترويج للرموز المسيحية واللا اسلامية وتخريب الوجدان العربى ومحو التراث الاسلامى ؟

**والآن : هل نحن فى حاجة الى أن نذكر أنسى الحاج** بأن « القاهرة » لم تهمل قصيدة النثر التى يدعو اليها وانه قام على صفحات مجلة «الشعر» من يعرف بالدواوين التى تحمل هذا الطابع ، ولعل فى مقدمة هذه الدواوين ديوانه لن ، وديوان الصوت الآخر لخليل احمد خليل ، وأن الذى كان يعرف بهما كان لا ينسى أن يذكر البلد ودار النشر والسلسلة والمشرف على السلسلة وعام النشر مهما كان بعيدا ·· الخ ،وأنه فى بعض عمليات التعريف هذه عرض بالثقافة فى البلاد العربية ، وذكر أن الثقافة المتقدمة لا يحظى بها الا لبنان ، وذكر أن قصيدة النثر هى المخلص من الف عام من الضغط، فالعرب مضى عليهم ألف عام وهم عبيد جهلاء وسطحيون ، وأنه توجد فى كل قصيدة نثر « دفعة فوضية هدامة » ، وأن قصيدة نثرك ـ ان صح هذا التعبير ـ ترفض كل المقدسات والبناءات والاخلاق ، وانك ملعون فى جسدك ووجدانك ، وأنك تقول شيئا حتى عندما لا تقول شيئا· والآن دعنى أقدم لك بعض ما قدم من نصوص ـ غير مبتورة ـ كما وردت فى التعريف بقصيدة النثر :

- **اخترعوا لنا عفافا بدون دم**
- **انفخ البوق ، هيج الخيل ، اقنع الجيوش بالخيانة ·**
- **طلعت من فخذ الهاجس اليك**
- **لم العشب ·**

**« ما دمت أستعير عاشقا من أذنى**

- **الرقاص ينظر الى الكلمة ويكويها العشاء انتهى**

**بحجر احفر الحجر : جسدى وردة**
**أفتح فمها بيدى**
**وجسدى أنزل درجها**

**يترقرق عبيرها على خدى**
**والدرج يروح يروح**
**جسدى امرأة**
**غيومه أبوابى · غيومه اعماقى**
**جسدى امرأة**
**جسدى**
**جسد الهاوية**
**● جسدى حيله**
**وجسدك فخ**
**من يهرب منا فقد نجا !**

والآن نقول هل تختلف حقيقة هانى مندس الذى قام بالدعاية لقصيدة النثر فى الجمهورية العربية المتحدة عن الأديب الخطير أحمد رشدى حسين ؟ ان الاتهام فى هذه المرة يأتى من مقال منشور فى هذا العدد بقلم عدنان الداعوق فهو يقول « لنضع موضوع كاتب المقال جانبا ، فعلى ما اذكر ، ورغم كثرة قراءاتى لم اقرأ اسم « هانى مندس » مطلقا ، والاسم ألمحه لأول مرة فى حياتى، وان لم يخنى الظن والحسبان فكاتب المقال غير هانى مندس ·· وهو شخص آخر أراد أن يختفى وراء هذا الاسم متوقعا ـ وللأسف ـ مسبقا أن يلقى مقاله من الهجوم مالا يستطيع له ردا » ·

ونحن اذا تتبعنا عملية التزوير الأدبى هذه ، وجدنا أن هذا المقال قد نزل فى اجازة للدكتور عبد القادر القط ، ورده فى العدد التالى لنشر هذا المقال يوضح هذا ، ونحن لن نشير الى من تسلم مكافأة هذا المقال ، ولكننا فقط نصرخ قائلين الى متى نسىء الى بلادنا ونجعلها نهبا لأقلام كثيرة ظاهرة ومستترة ؟

لا شك أن الذى يجعل أنسى الحاج جريئا على الحقائق ، ويجعله يعيد فى جريرته ما يسىء الى هذه الحقائق متخفيا وراء شعارات ان كانت تدين أحدا فانها تدينه هو ، ونحن لن نتعرض لشخصه ومواقفه فى الحزب القومى السورى ، ولكننا نذكر هنا فقط أن ما جعله جريئا على مصر كما يحب ، وعلى الجمهورية العربية المتحدة كما يحب كل عربى ·· هو تلهف بعض كتابنا على النشر فى بيروت دون التفكير فيما وراء المكافآت السخية والمريبة !

**وهو** حرصهم على ان يشوهوا الجمهورية العربية المتحدة فيما يكتبون !

**وهو** تقديم ما تريده بعض هذه المجلات منهم · او التبرع بالوقوف الى جانب ايديولوجية هذه المجلات حتى يكون النشر مستمرا ·

**وهو** تدليل مندوبى هذه المجلات فى الجمهورية العربية المتحدة ، والعمل على خدمتهم بما يجعل الصلة مستمرة ·

**وهو** التزوير الذى يحدث أحيانا على المستوى الفكرى ، والكتابة بأسماء زوجات فى أدق قضايا الفكر ، مع أنهن بعيدات عن هذا الميدان ، أو الكتابة بأسماء وهمية للكيد من بعض الأشخاص ، او من بعض التيارات ·

**وهو** الدعوة الصريحة لأن تكون صدى للفكر الذى تعمل على تأكيده بعض المجلات فى لبنان ، ونظرة واحدة تؤكد ان بعض كتابنا لا يعرف الا بنوع خاص من الكتب ، ولا يحتشد الا حول شاعر او شاعرين من لبنان ، حين «يسرق» لا يسرق الا افكارا معينة من بعض هؤلاء الشعراء ، وكأن السرقة لا تهمه ولكن الذى يهمه هو الدعاية لهذه الأفكار ، والنزول بها الى رءوس المواطنين فى الجمهورية العربية المتحدة ·

وهو اخيرا الجذور الضاربة التى تختفى وراء الرموز الدينية التى لا يعيب الشاعر ان تكون هذه الرموز مكثفة لتجربته، ولكن الذى يعيبه ان يفتعلها افتعالا لأن مجلة أو مسئولا عن النشر يحب هذا اللون من الرموز .

هذه كلمات لا أخاطب بها الا وجدان هؤلاء الادباء ، وعقولهم ، ولا اتوجه بها الا الى ضمائرهم، وليس هناك شىء اهدف اليه من ورائه غير ان يكونوا انفسهم ، فأنا لا اطلب منهم ان يكونوا مع وطنهم وحضارتهم ، ولا اطلب منهم ان يكونوا مع الحقائق بما يكتبون ، ولكنى اطلب شيئا واحدا هو ان يكون لهم موقف واحد محدد ، حينما يكتبون فى الجمهورية العربية المتحدة،وحين يهاجرون بأقلامهم ·· بل حينما لا يكتبون ، واعتقد ان هذا المطلب ليس من العسير تحقيقه !

وان كان هذا لا يمنعنى من ان اصرخ للمرة الثالثة ، وان اقول ـ وقد قلت هذا من قبل مرتين ـ ماذا يدور فى الحقل الادبى ؟ ماذا يدور ؟!

**« عبده بدوى »**

# الكتب نقد وتعريف

## اكتشاف جزيرة العرب

تأليف : الكاتبة الفرنسية جاكلين بيرن
ترجمة : قدري قلعجي
نقد : محمد عبد الله السمان

هذا الكتاب الذي نشرته دار الكتاب ببيروت في اكثر من اربعمائة صفحة يؤرخ لجزيرة العرب في القرون الخمسة الاخيرة ، ويعطي ويشرح لاوربا فكرة واضحة ، والمؤلفة الباحثة الفرنسية الاصل لم يكن دورها في هذا الكتاب دور المؤرخ ، لان جهودها انحصرت في دور الراوي للتاريخ ، فقد جمعت بين دفتي كتابها هذا ، جميع الرحالة الذين جابوا الجزيرة العربية عبر خمسة القرون الاخيرة من مغامرين وأفاقين ، وعلماء مخلصين ، لتروي قصصهم الشائعة ، وتسجل ماقدموه من خدمات في حقل المعرفة البشرية ، واكتشاف المناطق المجهولة ، متنقلة معهم في المكان والزمان .

والحق ان جهود الباحثة الفرنسية جاكلين بيرين لم تقف عند حدود السرد لقصص الرحالة ، ولكنها تعقبتهم في كل ماكتبوا وسجلوا ، ولم تضن على الحقيقة والتاريخ بهتك الستار عن كذب المفترين وخداع الدجالين ، وذلك ــ بالطبع ــ في حدود امكانياتها ودراساتها ، وماتملكه من مراجع تاريخية عن المنطقة العربية .

ويمكن ان نضيف الى قيمة هذا الكتاب كمرجع يكاد يكون فريدا في الجغرافية البشرية لمنطقة لم تزل مجهولة حتى لدى الباحثين العرب ، وكتاريخ حي ينتقل بالقارىء خلال خمسة قرون ، من بلاد اليمن وعسير وحضرموت ، الى عمان ومسقط ، والى نجد وعمان وبلاد الشام ، ومن آثار سبأ ذات الاسرار العجيبة ، الى آثار الخبيئة في قلب الجبال ــ اقول : يمكن أن نضيف الى قيمة هذا الكتاب كمرجع وتاريخ حي قيمة أخرى جديرة بالتسجيل ، فقد قام العلامة الجليل الشيخ حمد الجاسر بالاسهام في ضبط اعلام الكتاب وكتابة هوامشه ، والتقديم له بمقدمة مسهبة في اكثر من عشر صفحات ، ولهذه المقدمة اهميتها ، اذ تعرض الشيخ حمد الجاسر لجهود المستشرقين في خدمة التراث العربي والاسلامي ، من امثال المشرق الالماني « فردنند وستنفلد » الذي كان اول ناشر منذ قرن من الزمان لكتاب « معجم البلدان » لياقوت الحموي فمهد الطريق لكل ناشر عربي بعده ، والعالم النمسوي « داود هنري ملر » الذي كان أول ناشر لكتاب « صفة جزيرة العرب » للهمداني ، ولم يكتف الشيخ الجاسر بعرض نماذج لجهود المستشرقين في خدمة التراث العربي والاسلامي ، بل قرر أن من الانصاف ، بل من الاعتراف بالفضل لذويه ، القول بأن كل معنى بالبحث في تاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها مايزال عالة على مانشره أولئك المستشرقون وحققوه من المؤلفات القديمة عنها .

ان المؤلفة قسمت الكتاب خمسة اجزاء ولا يفهم من هذا التقسيم مراعاة الترتيب الزمني للقرون الخمسة الاخيرة التي استوعب الكتاب تاريخ الجزيرة العربية خلالها ، وانما هو ايحاء من المؤلفة على الطريقة الغربية في التأليف .

جعلت المؤلفة عنوان الجزء الاول : « رفع الستار » وفيه عرضت لشبه الجزيرة العربية القارة المفقودة ، ورأت أنه اعتبارا من القرن الخامس للميلاد ، وحتى يقظة الرغبة الكبرى في المعرفة خلال عصر النهضة لم تكن لدى أوربا اية فكرة عن شبه الجزيرة العربية ، اذ قد سادها جهل مطبق بعد أن طغت على الحضارة الرومانية التي عرفتها ، موجات الغزو البربرية في القرنين الرابع والخامس ، وقد احتفظت الاديرة بشيء من المعرفة القديمة في المخطوطات التي كانت تنسخ فيها بكثير من الصبر ، كما عرضت المؤلفة لكتب القدماء ، حيث ايقظ الاطلاع عليها العقول وشجع على الاكتشافات ، فطفق الناس يقراون التوراة باعين جديدة فادركوا انها تضم بين دفتيها تاريخا الى جانب الحكمة والدين ، ويقراون

من جديد كتب الاغريق التى كانوا يجدون منها فى بطون مكاتب الأديرة حيث كانت قد اجتازت القرون الوسطى ، ثم عرضت المؤلفة لرحلة « لود فيكودى فارتيما » الى بلاد العرب أوائل القرن السادس عشر ، والنجاح الذى لاقته قصة رحلته ، فقد تعاقبت طبعاتها وترجماتها خلال ثلاثين عاما دون انقطاع ، وظهر منها بعض الطبعات فى القرن السابع عشر .

اما عنوان الجزء الثانى : « رواد مصادفة » فقد ذكرت فيه المؤلفة ان القرن السادس عشر كان عصر السيادة البحرية البرتغالية على البحور الساحلية لشبه جزيرة العرب حتى تأسيس شركات الهند الهولندية والانجليزية فى أوائل القرن السابع عشر ، فكان ذلك ايذانا بالصعوبات التى اعترضت السيطرة البرتغالية بل بأفول نجمها ، كما تحدثت المؤلفة عن اربعة من الرحالة المغامرين ، استغلوا موسم الحج ، فزاروا الاماكن المقدسة لاغراض علمية وسياسية ودينية ، وذلك بين عام ١٦٠١ وعام ١٧٣٩ ، ابرزهم : « المطران مانيودى كاسترو » القاصد الرسولى فى بلاد الهند ، وشاب انجليزى يدعى « جوزفى بيتس دكسيتر » .

وفى الجزء الثالث الذى اختارت المؤلفة عنوانا له « مولد الريادة » تحدثت عن فجر العلم الذى بدا بنمو المعارف العقلية فى أوربا . وكان العلم الذى تقدم بنسبة مطردة مع الملاحة والارتياد هوبلا مشاحة علم الجغرافيا ، ولاسيما علم رسم الخرائط ، وقبل عهد « فاسكودى جاما » واكتشاف الدورة حول افريقيا عن طريق رأس الرجاء الصالح، لم يكن فى الامكان رسم شبه الجزيرة العربية على الخرائط العالمية الا استنادا الى معطيات بطليموس .

وفى الجزء الرابع : « العربية القفراء والعربية البتراء » تعرضت المؤلفة للحركة الوهابية ، وللبدو والمدن المنقرضة فى العربية البتراء فى أواسط شبه الجزيرة العربية ، والعربية البتراء كانت تمتد فيما وراء الخط الرومانى المحض الذى عفا أثره ، وفيها اطلال مدن قديمة نشأت فيما مضى من حركة القوافل التجارية بين جنوبى الجزيرة العربية والهلال الخصيب ، وقد ازدهرت هذه المدن فى مطلع القرن الاول للميلاد ، ولا سيما تدمر ، والعرب يقولون:ان هناك على مسيرة ثلاثة أيام من البحر الميت — فى تلك المنطقة التى تحمل على الخارطة اسم العربية البتراء ، ثلاثين مدينة خربة مقفرة كليا من السكان، وان بعض اعمدة ابنيتها لم يزل قائما ، وقد استنتج بعض المؤرخين أن تلك الخرائب لابد أن تكون اطلال مدن المنطقة التى اشتهرت فى التوراة باسم «آدوم» وعرفها المؤلفون الاغريق باسم ايدومة التى تغنى بتخيلها « فيرجيل » و « لو كان » ، وأيدومة هذه ليست سوى العربية البتراء كما اسماها الجغرافيان الاغريقيان « سترابون » و « بطليموس » .

وفى الجزء الخامس والاخير « العربية السعيدة» عرضت المؤلفة للبحر الاحمر ودوره فى الاكتشافات الجغرافية لشبه الجزيرة العربية ، وسر آثار سبأ، وحضارة عمان وحضرموت .

وقد ختمت المؤلفة كتابها بقولها : ان حجب الجهل التى كانت مسدلة على معظم اجزاء الجزيرة العربية ؛ كانت قد هتكت باستثناء الحجاب المسدل على منطقة الربع الخالى قبل عام ١٨٧٠ م ، ولسوف تضاف الى وجوه الرواد العظيمة وجوه اخرى عظيمة اسهمت بدور فعال فى اكتشاف شبه الجزيرة العربية .

وبعد — فاهمية هذا الكتاب لا ترجع — وحسب الى اعتباره مرجعا شاملا لحركات مئات الرواد الذين ارتادوا الجزيرة العربية عبر خمسة القرون الاخيرة ، بل ترجع ايضا الى استيعابه لانطباعات هؤلاء الرواد ازاء الشعب العربى ومعتقداته الدينية، الا ان بعض الموضوعات التى تطرق اليها الكتاب لم يكن مستوفيا للتحقيق التاريخى ،كالحركة الوهابية مثلا ، فقد عرضت حركاتها الحربية فى صورة منفرة ، دون التعرض لمنهجها الاصلاحى ، كما اكثرت المؤلفة من تعبيرها عن الأصول الدينية بلفظة « التقاليد » مما يوهم بعض القراء بوضعية الدين الاسلامى .

ومما يلاحظ على الترجمة أن هناك بعض الفجوات فى الكتاب يحس بها القارىء ، ولا سيما فيما يتصل بالمعتقدات الدينية ، ومع هذا وذاك فحسب الكتاب من التقدير انه قدم للأوربيين معلومات على جانب من الاهمية عن حضارة المنطقة العربية ، ومعلومات كانوا يجهلونها عن مناسك الحج وغيرها من الشعائر الاسلامية الاخرى .

« محمد عبد الله السمان »

# كتب جديدة

أحمد الصاوي عبد الصمد

● دولة الفكرة :

**التى اقامها رسول الاسلام عقب الهجرة**

**تاليف : فتحى عثمان**

**الناشر : مكتبة وهبة ـ عابدين**

يقع هذا الكتاب فى مائة صفحة من القطع المتوسط تناول المؤلف فيه دولة الهجرة ، والبناء القانونى ، والكيان المعنوى ، لهذه الدولة ، وايديولوجيتها ، وعالميتها ، والعقد الاجتماعى والتضامن الاجتماعى فى مضمونها .

ويرى المؤلف ان دولة الفكرة هى حلم البشرية وهى لا تقوم على حتمية ظروف الارض او الدم ، ولكنها تقوم على اختيار الانسان بوعيه الكامل وارادته الحرة · ولقد أقام هذه الدولة رسول الله فى المدينة تجربة حية مبكرة للدولة الايديولوجية فى التاريخ .

● آدم عليه السلام :

**تاليف : الاستاذ محمود شلبى**

**الناشر : مكتبة القاهرة بالأزهر**

يقع الكتاب فى ١٥٤ صفحة من القطع الكبير ،

تناول الكتاب قصة الخليقة وخلافة الارض ، وموقف الملائكة من آدم ، وتمرد ابليس ، ومعصية آدم وخروجه من الجنة ، وفى نهاية الكتاب تحقيق

عن حقيقة ابليس : امن الجن ام من الملائكة ؟ وعن الجنة التى اخرج منها آدم اجنة الخلد هى ام جنة فى الارض ؟ وقد ذكر المؤلف فى مقدمته انه سار فى كتابة كتابه على طريقة تجمع صدق العلم وجلال النصوص واسلوب القصة وتصوير الاذاعة .

● مجتمعنا العربى كما ينبغى ان يكون :

**تاليف احمد محمد جمال**

**الناشر : رابطة العالم الاسلامى**

كتاب صغير فى حوالى خمس وثلاثين صفحة من القطع المتوسط ، تناول فى دراسة مركزة موجزة عناصر المجتمع الذى يجب ان يتكون منها ويقوم عنها مجتمعنا العربى فى سلامته وقوته .

والمؤلف الحجازى الاديب الذى امتعنا من قبل بروائعه : على مائدة القرآن ، ومبادىء ومثل ، ومع المفسرين والكتاب ، يطالب العرب لكى يستعيدوا مجدهم ان يذكروا أنفسهم التى نسوها ، ويستعيدوا اصالتهم التى اضاعوها .

● الاسلام والطب :

**تاليف : محمد عبد الحميد البوشى**

**الناشر : المكتبة الثقافية**

هذا الكتيب هو احد اعداد المكتبة الثقافية التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد وقد تناول المؤلف فيه الطب عند قدماء المصريين ، وعند البابليين والكلدانيين والاشوريين ، كما تحدث عن اشهر الاطباء العرب فى الجاهلية كلقمان الحكيم والحرث بن كلدة ، والشمردل بن قباب الكعبى ، ثم تناول الطب فى الاسلام واهتمام الاسلام بالطب الوقائى وعرض لكثير من مشاهير الاطباء المسلمين كالفارابى والرازى وابن سينا ومجهوداتهم مع غيرهم ممن لهم فضل السبق على الطب المعاصر فى كثير من نواحى العلاج .

● الحلة السيراء :

**لابن الابار ـ ٦٥٨ هـ**

**تحقيق د · حسين مؤنس**

يقع الكتاب فى جزئين ، كل جزء تربى صفحاته على الثلثمائة من القطع الكبير ويضم الجزء الاول تراجم لاعلام الاندلس فى المئات الاولى والثانية والثالثة والرابعة ، كما يضم الجزء الثانى تراجم أهل المئات الخامسة والسادسة والسابعة .

وان الابار المؤلف واحد من اكبر من أنجبتهم الاندلس فى ميادين التاريخ والادب وعلوم الاسلا

اثنى عليه الاقدمون من العلماء ، كالمقرى في نفح الطيب والزركشي في تاريخ الدولتين والكتبى في فوات الوفيات ، كما اهتم به المحدثون وفى مقدمتهم المستشرق الهولندى (آن دوزى) الذى قرر في كتابه (مقدمة للبيان المغرب) ان ابن الابار مؤرخ ثبت دقيق جدير بكل ثقة .

● **القصاص في الفقه الاسلامى**

**تاليف : احمد فتحى بهنسى**

**الناشر : الشركة العربية**

يقع الكتاب فى اكثر من مائتين وعشرين صفحة من القطع الكبير ، وجاءت دراسته الفقهية المقارنة في ستة فصول ، تناولت القصاص وحكمة تشريعه وشروط وجوب القصاص، وحالات وجوب القصاص واستيفاء القصاص وما يسقط القصاص بعد وجوبه ثم وجوه الاثبات .

وهذا الكتاب هو السابع في مجموعة كتب الفقه الجنائى الاسلامى المقارن ، للمؤلف ضابط البوليس الذى يحمل ليسانسا فى القوانين ودبلوما في العلوم الجنائية ، ودبلوما فى الدراسات القانونية العربية وماجستيرا في القانون .

● **الفجر الراقص :**

**تاليف : عبد السلام هاشم حافظ**

**الناشر : دار الفكر العربى ـ القاهرة**

ديوان شعر جديد للاديب الحجازى الاستاذ عبد السلام هاشم يقع فى زهاء مائة وخمسين صفحة من القطع المتوسط ، وقد قدم لهذا الديوان الاستاذ احمد رامى بقصيدة من اثنى عشر بيتا .

وفي الديوان خمس وثلاثون قصيدة من الشعر العمودى الا قليلا منها ، فانه من الشعر المنطلق ، وقد اختار الشاعر لقصائده عناوين فيها جاذبية مثل صلوات الالم والامل ، ورحلة الى حلم الازل، سندريلا على البلاج ، ومأتم فى عرس ، وقد حرص المؤلف على ان يقدم قصائده بعبارات تعتبر بمثابة الطابع المميز لموضوعاتها .

● **المراهق**

**تاليف : كمال القلش**

**الناشر : مكتبة الزنارى**

يقع الكتاب في ١١٢ صفحة من القطع المتوسط وهو مجموعة من القصص القصيرة بلغت تسعا ، هى الهارب، ليلة العيد ، قصة حب ، الخادمة ، صندوق الفلوس ، المباراة ، الملاحة ، هذه النظارة، الحصار .

يذكر المؤلف فى مقدمته ان ثمة شخصية واحدة موجودة فى جميع القصص ، متكررة في كل المواقف ذلك لان القصة هى دراسة لانسان معين فى سن المراهقة وفي تجارب المراهقة ، وهذا ما لوحظ فعلا من استعراض قصص المؤلف .

**«احمد عبد الصمد دياب»**

# أخبار

● صدر هذا الاسبوع ديوان «ايقاع الأجراس الصدئة» للشاعر بدر توفيق .

● صدر للشاعر العراقى ايوب عباس ديوان بعنوان «دنيا» .

● يصدر خلال هذا الشهر عن الدار القومية كتاب «من وحى الاسلام» لمحمد بهى الدين سالم .

● صدر عن الهيئة المحلية لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاسكندرية ديوان من الشعر بعنوان (نوار) .

● مسرحية (الارض العالية) للشاعر عبده بدوى تعرض على مسرح الحكيم في نهاية شهر فبراير .

● (الحب والحرية) ديوان شعر صدر للشاعر العراقى محمد جميل شلش .

● تصدر قريبا عن الدار القومية مسرحية (نيرون الشرق) .. اول مسرحية للزميل مصطفى فوده .

● تصدر قريبا مسرحية شعرية عن (عمر بن العاص) للشاعر عامر محمد بحيرى .

# قراءات فى المجلات العربية



يقدمه : محمد العوانى

**دور الفكر العربى فى الثقافة العالمية :**

مما لا شك فيه ان من يغوص في اعماق الفكر العربى الاسلامى ، يدهش لما يجد من الافكار والنظريات التى جاء بها مفكرونا العرب ، في شتى مجالات العلم ، وفي مختلف نواحى التفكير والابداع فانهم لم يتركوا علما من العلوم التى كانت شائعة في زمانهم او الازمان السابقة الا اقدموا عليه وتفوقوا فيه ، يدل على ذلك هذه الاكتشافات الخطيرة التى توصلوا اليها فى النواحى الفكرية ، والمبتدعات الحضارية ، سواء كان فى الطب والكيمياء والرياضيات والفلك ، أم فى الفلسفة والاجتماع والتاريخ .. الخ .

وعلماؤنا العرب وان كان يرجع الفضل اليهم فى اكتشاف هذه العلوم وغيرها ، الا ان كثيرا من علماء الغرب ينكرون عليهم ذلك ، زاعمين انها من نتاج افكارهم وان احدا لم يسبقهم اليها .

وقد قدمت مجلة «الاقلام» العراقية بحثا لهذا الموضوع كتبه «سليم التكريتى» انكر فيه على علماء الغرب زعمهم ، ورد عليهم بامثلة عديدة يتبين منها ان كثيرا من الآراء والمكتشفات توصل اليها العلماء العرب من قرون بعيدة ، قبل أن ينسبها الغربيون اليهم ويدعونها لانفسهم» .

ويستدل الباحث على أن الفيلسوف العربى «عبد الرحمن بن خلدون» قد سبق كثيرا من علماء الغرب فيما توصلوا اليه من نظريات امثال آدم سميث ميكافيلى وجان جاك روسو وكارل ماركس وغيرهم ممن كتبوا فى الاقتصاد والسياسة والاجتماع وفلسفة التاريخ .

كما بين الباحث أن ( جابر بن حيان ) قد سبق علماء الغرب بأكثر من سبعة قرون في اكتشاف طريقة التحليل الكمى للغازات، وانه أول من استحضر حامض النتريك ، واستعمل ثانى اكسيد المنغنيز فى صنع الزجاج ، كما استخدم الزئبق فى استخراج الاوكسجين ، يدل على هذا ان (سارتون) قال فى كتابه ( مقدمة فى تاريخ العلوم ) : ان جابر بن حيان شخصية فذة وهو من اعظم الذين برزوا فى ميدان العلوم فى القرون الوسطى .

ويبين الباحث أن دعوى الغرب بان ( غاليلو) العالم الايطالى هو الذى اخترع رقاص الساعة ، غير صحيحة ، فقد برهن التاريخ على أن العرب هم الذين اخترعوا «بندول» الساعة على يد «ابو سعيد عبد الرحمن » المشهور بابن يونس المصري ، وقد استعمل العرب هذا البندول فى الساعات الدقاقة التى اهدى هارون الرشيد واحدة منها الى شرلمان امبراطور فرنسا .

وينسب الاوروبيون الى (يوهان كيلر) اكتشاف علم الضوء والبصريات في حين ان الذى اكتشف هذا العلم هو العالم الكبير « ابو على محمد بن الحسن ابن الهيثم» وأن كلا من كيلر وروجر باكون، وفايتلو وغيرهم قد اعتمدوا على مكتشفات ابن الهيثم ومادونه من كتب ورسائل فى ظل ما ادعوا اكتشافه من نظريات عن علم الضوء والبصريات .

الى غير ذلك من الامثلة العديدة التى اوردها

الباحث ليدل بها على مدى ماأحرزه علماؤنا العرب من تقدم في ميدان العلم والمعرفة ، كما يدل على ان لهم فضل الاسهام والمشاركة في هذه الحضارة العالمية السائدة .

## ● قضية العامية والفصحى :

بين الحين والآخر تقوم المعركة بين العامية والفصحى ، فقد صارت هذه القضية تشغل بال الكثيرين في الأوساط الادبية ، اذ أن التنافس بين هاتين اللغتين بلغ من الحدة ماجعل احداهما تريد أن تطرد الاخرى ، ومهما يكن من أمر فان الذى نستطيع أن نقوله ،أن للفصحى مجالا لا تستطيع العامية أن تقتحمه أو ان تجاريها فيه ، فهى لغة التاريخ والمقال والبحث والعلم ، يضاف الى ذلك أن اللغة العربية رابطة من اقوى الروابط في توثيق التفهم بين الشعوب العربية ، لكن اللهجة العامية تختلف من قطر عربى الى قطر عربى آخر ، دون أصول أو قواعد وضوابط ، يدل على هذا ما سبق ان بينت في عدد سابق من هذا الباب ان احسان عبد القدوس كتب في مقدمة الطبعة الثانية لقصة (أنا حرة) يقول:

« لقد قرأت اثناء قراءتي للقصة ، قصة عراقية باللغة العامية ، ولم افهم منها شيئا ، وخيل الى ان قراء العراق لن يفهموا من قصتى شيئا اذا كتبت حوارها باللغة المصرية العامية» .

ويثور الآن جدل عنيف حول هذا الموضوع على صفحات الكثير من المجلات ، ويبلغ هذا الجدل عنفا وشدة حين حمل الدكتور لويس عوض العربية الفصحى مسئولية ازمة الرواية والقصة القصيرة ، فقد نشر في مجلة الاذاعة والتليفزيون ان سبب هذه الازمة يرجع الى المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب الذى يصر على أن تكتب القصص والروايات باللغة العربية .

ويرد القصاص المعروف أمين يوسف غراب عليه في نفس هذه المجلة «في العدد التالى الصادر بتاريخ ٩ يناير ١٩٦٥» فيبين ان ماذهب اليه الدكتور لويس لايستند الى اى اساس ، فان كتاب القصة الطويلة — وعلى رأسهم «توفيق الحكيم» — زاد انتاجهم في عام ١٩٦٤ عما كان عليه في السنوات الماضية ، اذ ظهرت لتوفيق الحكيم ثلاث روايات هي « سجن الانسان » و «شمس النهار» و« الطعام لكل فم » ٠٠ وكذلك نجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبد الله .. الخ.

كما يضيف الاستاذ أمين غراب ٠٠ ان القصة القصيرة لم تكن اكثر ازدهارا مما هى عليه الآن ، ويستدل على ذلك بمسابقة «نادى القصة» التى تقدم لها ٧٠٠ قصة ، وان مسابقة المجلس الاعلى المسماة باسم «الكتاب الاول» تقدم لها ما يزيد على ٢٠٠ قصة قصيرة ورواية من انتاج كتاب جدد.

ويمضى امين يوسف غراب متسائلا :

هل هناك فن او ادب يمكن أن يسمى فنا او ادبا اذا ما كتب باللغة العامية ؟

وهل لويس عوض نفسه يكتب مقالاته — التى يدور حولها ويلف ، ويقول فيها ما لا يقدر على قوله ، وما يقدر على قوله ، باللغة العامية ؟

وهل تاريخ الادب والفن الذى يدعى لويس عوض انه ألم باطرافه شرقا وغربا ويمينا ٠٠ هل في هذا الأدب ادب باللغة العامية ؟

ويقول «انني ارجو من الدكتور لويس عوض.. اما ان يكون صريحا ورجلا ..

ويقول لنا في صراحة ماذا يريد ؟ واما ان يسكت بدل أن يتباكى ، فهو اذا وقفنا له تباكى ٠٠ وقال انهم يهاجمونني لانني لويس عوض ..

واذا سكتناله راح ينفث هذه السموم حول تراثنا المجيد الذى نعيش عليه وتعيش عليه امتنا العربية .. ان القومية العربية التى ينادى بها ويكافح من أجلها ، من هو في أغوار الصحراء شرق .. ومن هو في اغوار الجنوب ، انما رباطها المقدس هو اللغة العربية التى يريد منا لويس عوض ان نتحلل منها .. ثم يبين امين غراب ان الدعوة الى العامية ليست جديدة بل هى كانت منذ كان رفاعة الطهطاوى الى سلامة موسى ، ثم لويس عوض الآن.

ويستطرد أمين غراب فيربط بين الكلام عن ازمة القصة بما يرويه من قصة قديمة تروى في الريف هى قصة ٠٠ الزير الأثرى ، الذى أدخل ثور العمدة رأسه فيه وحين احتار الناس في الامر اتوا بمعلم القرية الذى اشار عليهم بقطع رقبة الثور أولا ولما لم يتمكنوا من اخراج رأس الثور من قلب الزير أشار عليهم بكسر الزير .

« محمد العوانى »




## قصيدة النثر فى لبنان

### بقلم ياسين النصير

« مقالة حول المقال المنشور بنفس العنوان فى « الشعر عدد اغسطس »

تميز لبنان دون غيره من البلدان العربية ، بظاهرة التغير الفاجيء ، فى معظم المجالات الادبية ، وهذا ليس راجعا الى عمق التجربة الادبية فى لبنان ، ( مع اننا لا ننكر فضل ادباء لبنان المفكرين ) وانما راجع بالدرجة الاولى الى التأثر بالتيارات الغربية فما يكاد تيار يظهر فى العالم الغربى ، الا وتجد له من يؤيده كما اننا نلاحظ ، ان كتبا لازالت مخطوطة فى زوايا المكتبات الغربية ، تطبع فى لبنان ، ولهذا ، فالقصيدة النثرية ، ليست وليدة التطور الشعرى العربى ، وانما فرع من فروع الادب الكلاسيكى الغربى ، الذى يعيش فى الحانات والملاهى ٠

ان الشعر العربى عندما ظهر لاول مرة قبل بعث الرسول عليه السلام بعشرات السنين ، كان بوضعية البيئة العربية ، وعندما تطور هذا الشعر ، كان تطوره نابعا من الكيان الشعرى العربى وان الذى لحقه من صفة لاتأثر بالتيارات الغربية ، انما كان من جانب الشكل لا المضمون ، ولهذا فان الشعر الحديث جاء نتيجة متطلبات البيئة العربية ، ولهذا اتخذ شكلا يكون قياسيا لكل المجالات العالمية ٠

ان التطور الحادث ، فى معطيات الحياة الطبيعية ، واتجاه الانسان نحو الفضاء ، واستغلاله لكل طاقاته المادية ، مما جعله يشق طريقا جديدا ، يكون مسايرا مع تطور تلك المادة ، كما ان هذه التطورات الجديدة ، جاءت من اجل سعادة وفناء الانسان ولكنه قادر ان يحول السيف والمدفع الى محراث ، ومن هذا فان كل جديد ليس بالجديد، ولا كل قديم بالقديم ، كما انه ليس القديم فاسدا ، وليس الجديد صحيحا وسليما ، اذ لايمكن أن نخلق من التشاؤم تفاؤلا ، ولا من التفاؤل تشاؤما ، وانما نخلق من التفاؤل القديم تفاؤلا اكثر قوة ، ومن التشاؤم تشاؤما اقل وهكذا يكون القديم اساسا فى ظهور الجديد ، كما انه بذرة لنمو الحياة الجديدة ، وبصورة مدروسة ٠

فعندما ظهر الشعر الحديث ، كان وليد التطور الحاصل من الشعر القديم مع التاثيرات المختلفة التى قومت الاسلوب والتجربة ، فجعلته بوضعيته الجديدة ، واصبح الشعر الجديد جديدا ، بشكله ومضمونه ، ولكنه استعمل نفس الأوزان الشعرية ودرس نفس الاسلوب ، وعالج نفس المشاكل ، ولكن بشكل اعمق وهذا هو المنطق الصحيح للتطور ، ولكن أين تقف قصيدة النثر من هذا ؟ وما هى سنة تطورها ؟ وما هى القضايا الثورية التى عالجتها ؟ وما هو اسلوبها ؟

« قصيدة النثر خطرة لانها حرة ، هذه كلمات قالها ادونيس ٠٠ انما القول بانها (قصيدة) ليس صحيحا ٠ ان القصيدة النثرية فى لبنان كما يسمونها ليست بالقصيدة الصحيحة اذ ان مفهوم القصيدة هو ماتمتعت بالوزن والشعور والمضمون ، وعليه فان قصيدة النثر عارية من الكل ٠ اما قوله «خطرة» فصحيح انها خطرة ، اذ انها دخيلة على الشعر العربى وسوف تبدل من طريقة معالجته للحياة فتجعلها جامدة خامدة ، وهذا ما نلاحظه فى دواوين اصحاب مجلة « شعر » ٠٠

اما قوله (حرة) فهل هى حرة من الوزن ؟ نعم هى كذلك !! ام هى حرة من الحياة والبيئة العربية ؟ نعم هى كذلك ! ام هى حرة لانها نابعة من قلوب احرار ٠٠

واذن فالقصيدة النثرية فى لبنان هى حرة من الوجود والكيان والشعر العربى ، وهى دخيلة استعمارية على الشعر العربى وعلى حياتنا الادبية ٠

اما قواعد القصيدة النثرية فهى : الايجاز والتوهيج والمجانية ٠

اما الايجاز فلا اظن ان له مجالا فى أدبنا الثورى المساير لنهضتنا الاجتماعية والسياسية والادبية ، اذ كيف يجوز لنا ان نصف الحى بكلمة حى بينما يجوز لنا أن نصف الجهاد بكلمة جهاد ٠٠ وعليه تكون قصيدة النثر جامدة لانها تعالج مشاكل الموت والفناء والعدم ٠

اما التوهيج ، فانه لايحدث فى الاشياء الميتة ، وانما يكون فى الاحياء حدثا وفعلا ، كما انه موضوع لتجربة الشعر الحديث فى

مجال انطلاقه نحو الحياة الافضل ، ونحو التطور الجديد في المضمون الادبي ، ولا يحدث في ان «التدمير حيوى ومقدس» .

اما المجانية ، اى العطاء بلا مقابل والاخذ بلا مقابل ، فان قصيدة النثر تقف مكتوفة الايدى تجاه التطور الحالى ، اذ انها تاخذ ولا تعطى ، والسبب راجع الى ان تاثيرها فى الفكر الانسانى لايعدو خربطة او وشوشة فى مبادىء التعليم الاول ، فهى تاخذ من الموضوع انسانيته ، ومن المادة حيويتها ، ومن الحياة عبيرها ثم تقع الجميع فى بوتقة تجربة فطرية مكتسبة لتعطى للشعب للادب ، للانسان شيئا عن الموت ، عن الجماد ، عن اللاوعى ، عن الانحلال والاندثار ، ولهذا يقول اصحاب قصيدة النثر ، التدمير حيوى ومقدس» .

ان انسى عندما يثور نفسيا ، اى ان شعوره النفسى قد اصبح المسير الوحيد له ، يقف انسى فى ذلك المكان المظلم ، اى فى داخل نفسه ، ويصف لنا المكان الخارجي مكان الانسان والحياة والكون والموت ، ومن يدرى بسلامة نفسية انسى الحاج !! ومن هى نفسية العالم النمرسى المجرب ؟! ثم ان فى كل نفس عوامل داخلية وخارجية مؤثرة فيها ، بالاضافة الى ان النفس امارة بالسوء فكيف يقول انسى بقصائده ، ويريد منا ان نحيا التجربة كانها الطريق الوحيد او الحياة السعيدة .

ان فى قطعتى انسى «الشبح الاجرد» و «البيت العميق» يصف بهما ماساة الانسان فى حياته ونهايته الى المصير الحتم ، وهو هنا يستسلم للموت ، فيطلب منا ان نثور لان الموت اخذ الانسان او ان الانسان دخل فى عالم الاموات . فاين التوهج والمجانية ؟ واين الشخص الذى يجعل من السكون والحياة والرفض والحرية والمعطيات الاخرى ، اداة لتقويم النفس البشرية ، وابداعا لمعطيات اخرى ، وطرق ادبية جديدة .

اما موضوع اللغة ، فكان قصيدة النثر بلا لغة ، لا لانها مجانية ومتوهجة ، ولكن لانها ميتة واخذة فقط ، ان اللغة عامل من عوامل التقدم الحضارى لكل تطور ، ولكن عندما نقرا قصيدة من قصائد النثر ، نجد اللغة فيها لغة الغوغاء او الدهماء التى لاتعرف الا العنف سبيلا للحياة ، ولهذا فاللغة كلمات منفصلة وغير متماسكة ، ولا تؤلف وحدة الموضوع والجزء ، لانها نابعة من اللاوعى للشاعر ، وعندما يكون مثل هذا الشاعر ، بلا وعى ، فانه يصبح بلا ضمير ، وبالتالى يكون سطحى الفكرة والهدف ومثال التطور ، فان مثل هذا الشاعر عندما يعمل قصيدة نثرية يتحرر من :

١ ـ اللغة .

٢ ـ المادة .

٣ ـ العمل الانسانى والثورى .

٤ ـ التجربة .

ونحن نريد كما يريد عصرنا الحاضر ان الشاعر يجب ان يحتوى ، اللغة لانها الوسيلة الوحيدة لمفهوم التطور الشعرى ، ويستعمل الحياة بحواسها ومواردها مواضيع لقصائده ، ونريده ايضا انسانيا ، يعمل لسعادته لا لشقائه ، وثوريا على الاستعمار ومستفيدا ومستندا على الماضى الادبى لانه لا يستطيع ان يتحرر منه ..

**مع الشعراء :**

تلقت الرسالة القصائد الآتية :

من وحى الثوار العرب
للشاعر عبد البارى أبو العينين

غراميات
للشاعر فيصل فتح الباب

صوت الأم
للشاعر احمد محمد الشال

الجزائر
للشاعر محمد زكى الغفى

دنيا الجمال
للشاعر عبد الحميد حموده

قم يا ابن عم
للشاعر محمد اسماعيل عاشور

خداع
للشاعر فرحات عبد الخالق

الحب الخالد
محجوب محمد موسى

انة الناعور
للشاعر اسامة ضياء الخطيب ( العراق )

رمضان حسان
للشاعر بيومى محمد الدسوقى

دولاب
للشاعر عبد الامير السعدى ( العراق )

ابتهال
للشاعر هدى النعمانى

لقاء عيدين
للشاعر عبد العزيز مصلوح

سلمت جمالها
للشاعر محمود شادر ربيع

ربكى الزهر
للشاعر عبدا الحفيظ عبد الرحيم عبد اللطيف

قصة قصيرة

# الملاك

للدكتور نجيب الكيلانى

كنت اؤمن دائما بأن الفرد نتاج البيئة التى عاش فيها ، وكنت ارى بعينى دائما ـ كطالب بقسم الاجتماع ـ ما يؤكد هذه النظرية ويدعمها ، ولم يعترض ايمانى بذلك الا حالة واحدة استعصى على تفسيرها ، ذلك هو زميلى في القسم **«ابراهيم سويدان»** ، فقد نشأ في اسرة توارثت مهنة التجارة سواء من ناحية ابيه او من ناحية امه ، الاسرتان تؤمنان بالارقام ، وتسيران دفة الامور طبقا لخطة وتفكير طويل ، ويؤمنان ايضا ان ادخال «العاطفة» فى الشئون التجارية ليس له سوى نتيجة واحدة هى الافلاس او خراب البيوت ، ما عدا ابراهيم .. كان كثيرا ما يسخر من العقل ، ويعتبره وسيلة قاصرة لادراك الحقائق ، ويرى ان العاطفة لا تكذب، وانها تأخذ دائما بيد الانسان الى سر الوجود والحق الازلى ٠٠ وكنت أعارضه دائما واقول له : « ان هذه نظرة رجل متصوف وليست نظرة رجل يدرس علم الاجتماع » .

فكان يضحك منى ويقول : «انت تعبير عن ثقافة منحرفة .. عن عالم مادى اعمى لا يمكن ان يرى الحقيقة ٠٠ لأنها لا تتجلى الا فى نور القلب المؤمن »

اجل .. كانت صلتى وثيقة جدا بابراهيم ..

وادركت ذات مرة انه يطيل النظر الى « **فوزية** » احدى زميلات الدراسة ..

واستغربت .. لانه يتحدث عنها حديث العاشق الولهان .. ولم يكن هناك ادنى أمل فى ان تستجيب لنظراته ٠٠ فهى جميلة جدا ٠٠ ومن أسرة ثرية تفوق اسرته بمراحل.. وهو انسان عادى فى سمته وهندامه ووضعه الاجتماعى .. وقلت له ذات يوم:

ـ لن تلمس السحاب بيديك ٠٠

ـ ماذا تعنى ..

ـ ان تعلقك بفوزية خرافة ..

ـ اننى أؤمن بقوة الروح .. وروحى تستطيع ان تحلق فوق السحاب نفسه ..

ـ هذه احدى شطحاتك الصوفية ..

فابتسم ابراهيم وقال :

ـ انا لا اريدها فى ذاتها ..

ـ لكنك لا تمل التفكير او النظر اليها ..

فهز راسه وتمتم :

ـ اتعرف شيئا عن العشق الالهى ؟؟

فقلت فى حنق :

ـ انا احدثك عن فوزية ولا احدثك عن الله ..

وبدا الضيق على وجهى حين سمعته يقول :

ـ ايها الجاهل .. ان جمال فوزية انعكاس لجمال الخالق .. مظاهر الجمال فى الوجود كله انعكاس لجمال الله .. ولهذا فانا اعشق فوزية .. هى مجرد وسيلة .. مرحلة من مراحل العشق ، انتقل بعدها الى عشق الله ذاته .. ألم تسمع عن « رابعة العدوية ؟؟ »

قلت فى اصرار :

ــ لكنك تتمنى ان تتزوجها ..

قال ابراهيم :

ــ هذا هراء .. اذا تدخلت الرغبـــة الجسدية فى الحب افسدته .. وتلوثت الروح باطماع الحياة .. وماتت كل المعانى الجميلة ..

ــ لكن الزواج سنة الحياة ..

هذا بالنسبة لك ..

ومنذ ذلك اليوم وانا اشك فى حالة « ابراهيم سويدان » ، كان يقضى اكثر وقته صامتا ، ونظراته الشاردة ، تنبثق من عينين واسعتين فيهما عمق وقوة ، وكان يتابع « فوزية » اينما ذهبت ، ويحرص على الجلوس بالقرب منها ، ويحـاول ان يجاذبها اطراف الحديث ، وفى بعض الاحيان يرافقها من المدرج حتى عربتها ، وكنت كثيرا ما احاول ان اعرف مايدور بينهما من حديث ، لكنه كان يهمس ساخرا :

ــ لن تعرف .. لانك لا يمكن ان تفهم لغتى .. وانا وأنت نعيش فى عالمين مختلفين تمام الاختلاف .. وشتان بين عالم المادة وعالم الروح ..

فرددت قائلا :

ــ وهى ؟؟ فى اى عالم تعيش ؟؟ حذار ان تخدعنى وتزعم ان فوزية من سـكان عالمك .. انها تركب عربة .. وترتدى أثوابا فاخرة وتقضى عطلة آخر الاسبوع فى عزبة ابيها ..

فابتسم قائلا :

ــ لم تزل جاهلا ياصديقى .. الفقر له معنى آخر عندنا .. الفقر بمعناه الصوفى ان تكون عاريا من كل رغبات الحياة واطماعها .. ولهذا قد يكون هناك امير يملك الكثير .. لكنه فقير .. والعكس صحيح .. افهمت ؟؟

وكان من المستحيل ان افهم ، ولا يمكن ان اعتبر فوزية فقيرة ، حتى ابراهيم نفسـه لا يمكن ان يكون فقيرا ، انه يهاجم الغنى مع انه يملك اشياء كثيرة ويحرص عليها ، ويهاجم « مدرسة العقل والمادة » فى الوقت الذى يدرس فيه علومها ويتفوق فيها ، ويتقدم على .. انه لغز .. بل هو مجنون لا شك فى ذلك ، لكن الذى يحيرنى هو أن علاقته بفوزية تقوى وتتقدم حتى اصبحت لافتة للنظر ، ومع ذلك فقد ازداد ابراهيم استغراقا فى تصوفه ، وايمانا بافكاره ، وظل يهـاجم الحيـاة المادية ومتعها ، والاطماع السخيفة التى تحيل البشر الى وحوش فى غابة ، واخذ يؤكد اننا فى حاجة الى رسول جديد يدعو البشرية الى عالم الروح الشـــفاف النقى ، حتى يحصل الانسان على السعادة والامن الحقيقيين ..

لا انكر انه بمرور الوقت اخذت انعم التفكير فى كلمات ابراهيم ، واحلل فيها واحاول ان ابحث عن دوافعها ، بل تماديت واستعرت منه بعض كتب المتصوفة واخذت اقرؤها بشغف ، وشعرت آنذاك وانا اتمثل معانيها ان هذه الكتب تضـع واحـة سحرية فى صحراء الحياة المندفعة الهائجة ، واحة نسماتها وخضرتها وظلها توحى بنوع من السكينة غريب وتحولت من التفكير فى ابراهيم الى التفكير فى فوزية اتراها تؤمن بمثل هذه الافكار هى الاخرى ؟؟ هل اقتنعت بمنطق ابراهيم وتفسيراته ؟؟ وامتلأت نفسى بنوازع الفضـــول وحب الاســتطلاع .. ووجدتنى اتسلل اليها ذات يوم فى غيبة ابراهيم ، وناخذ فى الحديث عن الكلية والعلوم ثم الآراء المختلفة فى تفسير اسباب الجريمة ودوافعها ، واستطعت بلباقة أن استعرض آراء ابراهيم . واخيرا قلت لها :

ــ مارايك فى ابراهيم ؟؟

ــ تلون وجهها بحمرة مباغتة ، وطرفت عيناها ، ووجدتها تعبث بحقيبة يدها فى ارتباك ، وتمتمت

ــ انه ملاك فى عالم من ذئاب ..

وهززت راسى فى حيرة وقلت :

ــ هذا حق ..

واشرق وجهها بالرضا ، وبدا لى انها قد ارتاحت لكلماتى ، ومن ثم انفكت عقدة لسانها واخذت تقول :

ـ أنت توافقنى اذن .. انه الوحيد الذى لا يتعلق بالمظاهر ، ولا تغريه الماديات .. محال أن تجد له مثيلا بين زملائنا .. كلهم يتحدثون عن المستقبل والوظيفة وأحلام الثراء والموديلات .. واشياء كثيرة تافهة .. ألست معى ؟؟

قلت وأنا ادقق النظر الى وجهها الفاتن الجميل ، والسلسلة الذهبية المدلاة على صدرها الناهد :

ـ بلى ..

وسادت فترة صمت تجاسرت بعدها وقلت :

ـ الم يحدثك عن نظرية العشق الالهى ..

ـ ربما .. لكنى أذكر انه يؤمن بقوة الروح ، واتخاذ القلب دليلا الى عالم الحقائق .. لست ادرى لماذا أرى فى كلماته قوة واقناعا ..

الحقيقة ان ايمانى بآرائه يزداد يوما بعد يوم ، لكن الامتحان قد قرب وما على الا ان انسى ـ ولو الى حين ـ هذه المشاكل الفكرية ، وبعد الامتحان سيكون هناك متسع من الوقت لمعالجة هذه الامور

وكان على بعد اعلان النتيجة ان اذهب لتهنئة اول الدفعة « ابراهيم سويدان » ، ورأيت فى بيته مظهرا ضخما من مظاهر الفرح والابتهاج ، وشهدت هرجا ومرجا ، وجلست الى جوار ابيه فى انتظاره ، وسمعت اباه يقول لأحد زملائه التجار :

ـ خير البر عاجله .. لقد قررنا ان نحتفل بالنجاح وبعقد قران ابراهيم ابنى دفعة واحدة .. ودق قلبى .. كانت كلمات ابيه مفاجأة مذهلة لى .. فأنا اعرف راى ابراهيم فى الزواج ، واعرف انه زاهد متصوف ، وان قلبه يتحول من حب البشر الى حب الله ذاته .. الى ما يسميه بالعشق الالهى .. وقلت فى نفسى : « لابد ان اهله قد ارغموه على الزواج من احدى قريباته طمعا فى مالها ، ولا شك ان ابراهيم تعس حزين ، وهو يساق سوقا الى شىء ليس من طبيعته ..

لكنى سمعت اباه يستطرد قائلا :

ـ ان ابراهيم ولد عاقل فعلا .. فالعروس من الطبقة الراقية .. ابوها يملك عزبة فى نواحى المنصورة .. وله رصيد ضخم فى البنك .. وهو رئيس مجلس ادارة شركة كبرى .. ابراهيم بن ابيه حقا .. عاقل رزين .. والعروس مثقفة .. زميلته فى الكلية ، وتخرجت معه هذا العام .. مال وجمال وعلم ..

دارت رأسى ، واختلطت المرئيات امام عينى ، واجتاح قلبى حقد هائل على ابراهيم .. لم يكن سبب حقدى هو انى احببت فوزية حبا عنيفا .. لكنى عجزت عن الوصول الى قلبها .. بل كان حقدى الاكبر عليه لانه خدعنى .. ولانه فى الوقت الذى كان يبشر فيه بدعوة القلب والروح .. كان يؤمن فى قرارة نفسه بالعقل وبالارقام .. وانتفضت واقفا .. وقلت :

**ـ بلغه تهانى عندما يعود ..**

وسرت فى الطريق المظلم الى بيتى .. كنت افكر فى ذلك « الملاك » ، ولم اؤمن فى حياتى قط كما آمنت فى تلك اللحظات بان الانسان نتاج بيئته ..

**دكتور نجيب الكيلانى**




العدد ٨١

الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر